اللؤلؤ المكنون

رواية

اسم الكتاب: اللؤلؤ المكنون
اسم المؤلف: م/ وفاء فتحي الغرباوي
التصنيف: رواية
الحجم: 14 - 20
عدد الصفحات: 128
سنة الإصدار: 2025
رقم الإيداع: 4633 / 2025
الترقيم الدولي: 6 – 154- 971 – 977 - 978
تدقيق لغوي: د. هبة ماردين
مراجعة أدبية: مي حسام أبو صير
تصميم غلاف: هبة نصري
تنسيق وإخراج: فريق ديوان العرب

الناشر
ديوان العرب للنشر والتوزيع

إميلات الدار
dewanalarabegypt@gmail.com
dewanelarab1978@gmail.com

اللؤلؤ المكنون

رواية

م/ وفاء فتحي الغرباوي

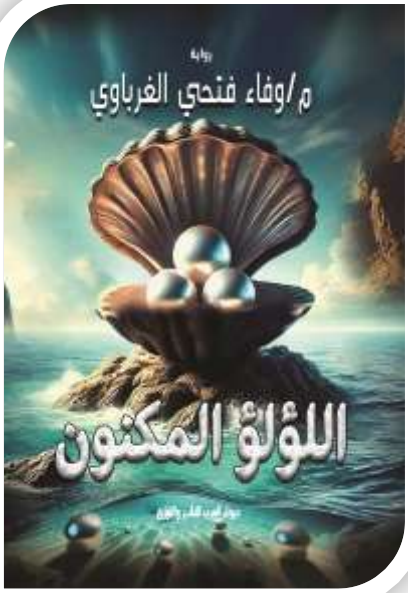

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف،
ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي،
أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه،
أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت،
إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

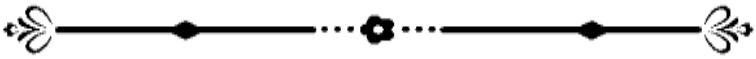

إهداء

ليس إهداءً عاديًا هذه المرة؛ بل هو نبض من القلب لكل من أحببتهم ووثقت بهم طوال حياتي.

إلى أبي، أمي وأخواتي إيمان، نهال وزوجها، ابنتيهما سيلين.

إلى الروح والقلب شريك العمر زوجي المهندس محمد جابر، وأبنائي أحمد وميرال..

إلى أصدقاء ورفاق الحياة، التقت دروبنا، إخوة لم تلدهم أمي، ولكن صدقوا الوعد؛ لنبقى على العهد دائمًا.

م / وفاء فتحي الغرباوي

****

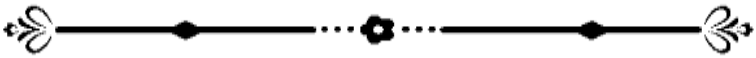

"لا تجعل قلبك وطنًا لكل العابرين، فقط اختر أصحاب القلوب النقية، المشاعر الصادقة، والمحبة الخالصة؛ لتشعر بالأمان والسلام النفسي في حياتك"

الفصل الأول

الخذلان

اليوم الأول

٢٠٠٧/١٠/٢

ماذا يفعل بنا الخذلان؟ شعور لم نختبره إلا في المواقف العظيمة التي تهب لنا الأشخاص، تضع كلا منهم في مكانه الصحيح، أن نزن بالقسطاس كلا على حِدة؛ فمن يستطيع تكون العقبى له، وأما من لا يستطيع؛ فجزاه الله عنا خيرًا، يرحل تصحبه السلامة؛ فنحن عنه أغنى.

جرت المقادير بين ليلة وضحاها، أن يصبحن الثنائي "هند، ووصال" في بيت طالبات واحد، وغرفة واحدة، كل منهما تجلس فوق فراشها تنظر للأخرى بنصف عين دون كلام، لم تتحدثا، وضعت كل منهما أغراضها في مكانها حتى دقت الساعة الثانية عشر لمنتصف الليل، تجرأت وصال وتحركت نحو مقبس الكهرباء، أظلمت الغرفة ولم تعترض الأخرى، احتضنت كل فتاة غطاءها وأحكمته من رأسها حتى أسفل قدميها، وغاصت في سُباتٍ عميق.

قبل أربعة أشهر من تاريخ اليوم.

في منزل هند المكون من طابقين، بيت عصري داخل مزرعة ريفية، حجرتها في الطابق الثاني، تطل على حديقة صغيرة، تملؤها أشجار النخيل العالية، وبعض الورود الجميلة، دق باب غرفتها، دخل والدها الأستاذ محمد، نظر نحوها غاضبًا ثم قال: هناك أسبوع وتبدأ الامتحانات النهائية، ويلك إن لم ترضِني النتيجة، أريد أن يقول الناس هذا والد الصحفية المشهورة.

لم يزد في حديثه عن هذه الكلمات وغادر صافقًا الباب خلفه، سمحت لنفسها بخروج أنفاسها المكتومة، وبدأت في نوبة من البكاء والعويل، انتبهت لدخول والدتها الغرفة، احتضنتها بحب ربتت على ظهرها بحنوٍ بالغ، حتى تحدثت هند أخيرًا: لماذا يجبرني على دخول كلية الإعلام؟ أنا أخاف يا أمي، سأموت قبل أن أتعامل مع الحقائق والجرائم، ماذا أفعل؟

بعد وقت من الشعور بالدفء، غفت في أحضان والدتها التي تتمتم ببعض آيات الذكر الحكيم، لا حيلة لها فزوجها ذو طبع حاد، لكنها على يقين بحبه لابنته، تعرف أنه يريدها فتاة غير عادية، ربما لكبره بالعمر، أو لحاجة في نفس يعقوب!

هند وحيدة والديها، عمرها ثمانية عشر عامًا، جميلة جدًا، ملامحها ملائكية، رقيقة، حسنة الخلق والمظهر، رزقهم الله بها بعد عشر سنوات من الزواج، كانت أمنية محمد أن تكون ولدًا يحمل اسمه، حمد الله على الذرية الصالحة، تمنى أن تكون طبيبة يفتخر بها، لكن ليس الطب بمهنة تمنحها الصمود والقوة، أراد لها أن تكون صحفية مشهورة، يحبها ولكنه حب بطبع حاد، لم يحرمها شيء، لكنه دائمًا غاضب، لا يستمع لها، لم يدللها كفتاة صغيرة ووحيدة، كان يريد أن تكون ذات عصب وبنية قوية، تعتمد على نفسها، أن تصبح من الرجال، لم يتكلم معها بهذا الشأن، فقط ترك لها المعاملة الجافة.

وكانت والدتها على العكس تمامًا، السيدة ألفت، هادئة الطبع، جميلة الملامح، رقيقة الأسلوب، يقترب عمرها من الخمسين، لكنها كشابة في الثلاثين، وجهها ضاحك بشوش، تعوض ابنتها هند دائمًا الحنان والدلال، ومع ذلك تشعر ظلت الفتاة تشعر بالنقص لفقدها حنان والدها الذي اقترب من عامه الستين.

شهر امتحانات الثانوية العامة

أصبح المنزل على قدمٍ وساق، الكل مسخر لخدمتها وتوفير الراحة لها، يذهب معها والدها يوم أداء الامتحان، ويعود برفقتها كل مرة، يحسدها صديقاتها على هذا، لكن وحدها من تشعر بالأسى، تخاف يوم عسير كيوم النتيجة النهائية، تدعو الله أن يمر بسلام خوفًا من أبيها، ورغم أنها تريد دخول كلية التجارة إلا أنّ والدها يجبرها على حلم آخر ليس لها علاقة به، تدعو الله أن تجري أمورها كما كتب لها، حتى جاء اليوم الموعود.

....

"إن من أجمل الأحاسيس هو الشعور من داخلك أنك رسمت لنفسك دربًا تسير عليه، يكون لك حرية الاختيار، الرفض والقبول، لا تتوقع الكثير سوى من ربك"

تلك هي نيرة، نوارة قلب أبيها، ضرة والدتها، يحبها والدها بشدة، تغار أمها من كثرة حبه لها، لديها أخ بمثابة الدنيا، حارس أمين عليها، شقي الروح لوالديهما، تريد أن تكمل مسيرة أبيها الدكتور صالح نافع جراح القلب

المشهور، وأخيها الضابط سيف، وأن يكون لها شأن خاص بها، لم ترغب والدتها في إكمال طريقهما، تعاني من عدم وجود الزوج والابن، فهل تصلح الابنة أيضًا؟!

تحدث نفسها دائمًا:

ماذا تفعل هذه الأسرة لي؟

تناغشها نيرة بقولها: أحبينا كما نحن يا دلال، ليس بيدك شيء سوى ذلك، نحن من دونك لا حيلة لنا.

ليأتي اليوم الموعود بنتيجة الثانوية العامة، يوم هلاك الأحلام أو بداية الطريق لتحقيقها؛ وبدأت الخطوة الأولى لها، فرحة تطل على المنزل، سوف تلتحق نيرة بكلية الأعلام، لكن والدتها أصيبت بالحزن، كانت تريدها فتاة عادية، تتمتع بالحياة وتفرح بها، إلا أنّ نيرة كان لها رأي آخر.

.....

"هل تعرف أنّ الكتاب عالم آخر يمكنك أن تعيش فيه، دون اللجوء إلى عالم لا ترى نفسك تنتمي إليه"

فتحت وصال دفترها وكتبت أعمق كلمات خرجت من قلبها، نسجت خيوط الحروف المتشابكة لا تعرف أهي تمدح نفسها أم تمجدها، لكنّها خطت عبارات ترسمها.

"ربما أنا لست فتاة جميلة، لا أصف نفسي بالجمال لأنه مقياس نسبي، عادية؛ لكني صديقة عزيزة، أحفظ الود وأكتم السر، مهما طال الزمن

وجاوزت المسافات، أشعر بالخجل دائمًا؛ لكني مازال لدي صفة أكرهها، عندما أبرر موقفي حتى للذين يحفظونني، أسوأ عادة أمتلكها، أتمنى أن تتركني، أريد أن أعتذر لنفسي دائمًا عن حماقاتي وتسرعي، لكني على يقين أنها ستكون أفضل أيامي"

تذكرت شيئًا هامًا قبل أن تغلق دفترها، لا تعلم لماذا الآن؟ غامت عينيها بالذكرى ما بين الليلة الأولى لها في بيت الطالبات وذكريات أخرى، كتبت عنها سابقًا، اليوم الموعود، النتيجة التي تحدد مستقبل قادم، حلم يكتمل ويحلق في السماء، أو يتم وأده على أقل من ربع درجة، ينتهي بك المطاف إلى عالم لا تعرفه، لم يشاركك أحلامك في الفترة الماضية، لكن وصال حباها الله، وكلل حلمها ببلوغ أمنيتها في درجته الأولى؛ لتدخل كلية الإعلام، وها هو غدًا يومها الأول في طريق محبب لقلبها.

تنظر إلى الفتيات اللاتي تكاد تذكر فقط أسماءَهن، وقد أصبحن شريكات الغرفة نفسها وحسب؛ بل غدًا في نفس الكلية، وربما بعد ذلك نفس القسم، ليس هناك أسرع من الأيام.

ثلاث مغامرات، حكاياتهن أشبه بذكريات ألف ليلة وليلة، سأكتب ما أستطيع البوح به، وربما أكتب عن أهلي يومًا ما.

حتى الآن دفتري العظيم لا يحمل عنهم شيئًا إلا القليل، لحاجة في نفس يعقوب!

....

في الصباح الباكر، مع سلاسل الشمس الذهبية استيقظت الفتيات بنشاط معهود لهن، حتى أنهوا ارتداء ملابسهن للخروج، قالت نيرة لهن بابتسامة رائعة مرحة: صباح الخير صحفيات المستقبل، كنت أود التعرف عليكما أكثر، ولكنها كانت الليلة الأولى التي أغيب فيها عن أهلي، لا أخفيكم سرًا لا أعرف كيف سأجتازها، سأحكي لكن عن قدومي هنا، وهناك مفاجأة أيضًا أنني سأنتقل من هنا عما قريب.

بدأت تثرثر نيرة بحديث من هنا وهناك وهي تكمل ارتداء ملابسها وتضع زينتها، لم تنتهِ من الحديث قط، فقط لأنها نوارة.

نظرت إليها الفتاتان بابتسامات هادئة، أيقنت وصال أنّ نيرة تختلف عنها وعن رفيقتهما الثالثة هند، نيرة مرحة، نشيطة، وجهها تنبعث منه شقاوة وفرحة، ترتدي حجابًا بسيطًا، لكنّ لباسها يتبع صيحات الموضة، أما هند لم تحرك ساكنًا منذ وصولها الغرفة، تختلف عنهما في ملابسها، فضفاضة، حجابها كامل، ولكنه رائع، حتى أنها لم تضع أيًا من مساحيق التجميل، وجهها بريء جدًا.

أما وصال، نصفها يتبع نيرة، والآخر مثل هند، لا تجيد الحديث كثيرًا، ترتدي ملابس محتشمة لا تشبه هند أو نيرة، فهي في المنتصف، حياتها كلها هكذا وسط، تخاف المضي قدمًا أو الرجوع إلى الخلف.

.....

أمام كلية الإعلام بجامعة القاهرة، يجلس الدكتور عمر في سيارته، يدقق في ساعته بين لحظة وأخرى، ينتظر مكالمة هاتفية هامة، سيقرر بعدها الدخول إلى الكلية أو الذهاب إلى مكان آخر، رن الهاتف معلنًا عما ينتظره، ليرد بكلمة واحدة: حالًا.

أغلق الهاتف وغير طريقه من الكلية إلى مكان يتحدد فيه مصيره ومستقبل عائلته الصغيرة.

بعد مرور نصف ساعة وصل عمر إلى المكان المنشود، ليجد زوجته وابنته أسيل التي تجاوز عمرها العامين بقليل، تنتظرانه في ركن بعيد في المطعم.

فرحت أسيل بظهور والدها، احتضنته بشدة، جلس مقابل زوجته الدكتورة نهلة، ظل صمتهما لفترة قصيرة حتى قرر عمر قطعه بسؤال صعب: ما هو قرارك؟

غامت عيناها هنا وهناك تطالع كل شيء حولها إلا وجه عمر والطفلة، حتى تنهدت وقررت إلقاء الخبر المدمر لهذه الأسرة الصغيرة: قررت الموافقة على السفر، إنها فرصة لا تعوض، عمر، عامين فقط!

شبك كفيه ناظرًا لها، بابتسامة باهتة خلفها ضحكة مصطنعة ببراعة، هتف يسأل: هل كنت يومًا عائقًا أمام نجاحك وتميزك يا دكتورة؟!

دق قلبها بسرعة، معه كل الحق فيما سيقول، لو كانت بمكانه، لخلفت ثورة، لأقامت القيامة دون تردد، خجلت من نفسها، وضعت عينيها أرضًا تحكي بسكون: إطلاقًا، كنت دائمًا تدعمني، سندي، لم يفعل أحد لي مثلك.

لم تستطع إكمال حديثها، وقف قائلًا بابتسامة لا تفارق محياه أبدًا: هذه الكلمة كنت أنتظرها، وعند ذلك وفقك الله يا دكتورة، لكن عذرًا لن أنتظرك هذه المرة، ابنتك معي، حين تعودين وتريدين رؤيتها ستجدينها، لن أغير عنواني.

حمل ابنته وخرج من المطعم، تاركًا لها مستقبلها الذي كلفها أسرتها، لقد كانت هذه المنحة لهما سويًا، لكنها قررت المضي قدمًا، وهو قرر الحفاظ على مكانته العلمية والعملية، وكذلك ابنته، ليظل في بلده.

بعد مرور يومين على سفرها، لقت مصرعها في حادث مروع؛ لتبقى أسيل يتيمة الأم في عمرها الصغير.

****

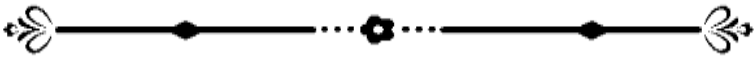

الفصل الثاني

وصال

٢٠١١/١٠/٧

"أقدارنا في الحياة كتبت قبل أن نولد، لنا أحلام، أمنيات؛ لكن بالنهاية للقدر رأي آخر دائمًا"

مرت ثلاث سنوات كاملة في الدراسة، حياة تجمع الفتيات الثلاثة، لم يختلف حالهن كثيرًا؛ إلا أنّهن أصبحن صديقات، على الرغم من عودة نيرة للعيش برفقة أسرتها وظلت هند ووصال في سكن الطالبات.

فتحت وصال دفترها ليلًا وكتبت بإحساس صادق.

"المصادفة خير من ألف ميعاد، ربما نعيش على موقف حدثت لنا أعوامًا، ونتمنى أن يكرره الزمن.

لكن إن كان لقاء اليوم مصادفة، ولقاء كل أسبوع، لتستمر اللقاءات، فنعود ونتمنى أن تصبح يوميًا."

همست لنفسها بصدق.

"داخليًا أنا أنثى أحب الحياة والاهتمام، ولكني أغلف نفسي بقشرة صلبة، مجتمعنا فرض عليّ أن أكون قوية، أعيش بدورين، شخصيتين أحب إحداهما وأكره الأخرى التي أعيشها إجبارًا.

أنا وصال، وصال أبي وأمي، آمل من بين طيات قلبي وخلف صدري أن أكون صحفية شهيرة، أجد مكانًا في المجتمع، ومكانًا في قلب من رأيته مصادفة قبل أن أعرف أنه دكتور بالكلية نفسها التي بنيت عليها جدار أحلامي.

الأسبوع سبعة أيام، أعيش ستة منهم على أمل اليوم السابع، يوم اللقاء، هذا يوم قلبي، ولكنّني مجبرة أن أكون الشخصية التي لا أحبها."

....

كتب عمر في اللحظة نفسها بدفتره المصمم باسمه، قرر اليوم إخراجه ليحكي له قصة تحويها روحه، لم يبُح بها لمخلوق، حتى قبل اليوم كان يخجل منها.

"المصادفة التي جمعتني بها أعتبرها يوم ميلادي، براءة عينيها، وخلصتها البيضاء، رأيت بها ابنتي أسيل، لقاؤنا الأسبوعي بالمحاضرة، ملتزم به كموعد دواء، إذا أنا مريض وهي دوائي، تناقشني، تعاندني؛ لكنها صغيرة لا تعلم أنّ القلوب ربطت بقدر منذ زمن، عملي كصحفي علمني أن أرى الحقيقة!"

أغلق دفتره متمنيًا اللقاء مع ابتسامة أمل في الغد المشرق.

....

في كلية الإعلام.

وقفت هند ووصال أمام قاعة المحاضرات، يتجاذبان أطراف الحديث بود، إلى أن صرخت وصال: هند! لم أصلِّ الضحى، سأذهب إلى المسجد وأعود سريعًا.

ردت عليها صديقتها بتحفظ: سوف تتأخرين على المحاضرة.

تحركت وهي تقول: لا تحاولي سوف أصلّي الضحى أولًا، هذه وصية أبي ألّا أهملها.

حاولت هند إقناع صديقتها بتأجيل الصلاة، وأنه مازال هناك وقت بعد انتهاء المحاضرة، ولكنها لم تقتنع ربما لأنها كانت تهرب من شيء ما، لا تحب أن تواجه نفسها، عللت سبب تأخير الصلاة بمكالمة والدتها الصباحية، وهرولت في طريقها دون النظر إلى هند.

نظرت هند بحزن لصديقتها وهي تجري، وتمتمت بخفوت: أطال الله عمر والديك وجمعكم على خير.

تمنت من قلبها أن تلقى من أسرتها المعاملة نفسها، ثمّ نظرت إلى الأمام وأشارت بيدها لصديقتها نيرة، لقد حضرت وحضر المرح معها.

ثلاثتهن يتميزن بالتدين والأدب والأخلاق، يشتركن في صفة هامة وهي العناد، لكن منهن الهادئة البريئة حتى بعنادها هند، المرحة العنيدة القوية نيرة، والعاقلة المشاكسة وصال.

صاحت نيرة بصوتٍ مسموع: لقد وصلت نشرة أخبار التاسعة، إليكما آخر خبر.

حضرت نيرة بابتسامتها المعهودة، تغمض عينيها وتضيقها حتى قالت: نشرة أخبار! أنا، هند لقد انتهت فرصك معي، لن أمنحكِ أخرى.

وضيقت عينيها بنظرة شر خفية فهمتها هند، ونظرت إلى الناحية الأخرى، وفجأة ضحكتا معًا، تشير نيرة بيدها تتساءل عن ضلع الصداقة الآخر؛ لتجيب هند بسلاسة: ذهبت لتصلي.

نيرة وهي تنظر لساعتها بصدمة: تصلي! دقات التاسعة بعد قليل! ماذا ستصلي الآن؟ هل ابتدعت صديقتك دينًا جديدًا لتهرب؟

ضحكت هند وخبطت جبهة نيرة بخفة: يا نيرة هل هناك أذان في الساعة التاسعة؟!

هزت رأسها بالنفي؛ فأكملت هند بابتسامتها الهادئة: الضحى يا صديقتي ليس له أذان، هذه وصية والدها.

ضيّقت نيرة عينيها بخبث ومرح أيضًا: عند عودتها سنعرف ما إذا كانت تصلي أم تدعو على أحدهم؟

أضاء وجه نيره بالضحك: عند عودتها سأخبرها بحديثك، تحملي ماذا سيحدث لكِ، لن أدافع عنكِ.

احتضنتها نيرة بحماس: أنتِ حبيبتي، لا تخبري وصال، سوف أزوجك أخي إنه ضابط.

وضعت هند يدها فوق ظهرها؛ لتدفعها للأمام، ونظرت إلى السماء قائلة: يا ربّ من بين كل الفتيات ليس هناك سوى هاتين الفتاتين أصاحبهما، سوف أودع الدنيا قبل أن أدخلها بسببها.

....

تدفعها للأمام نحو قاعة المحاضرات وقلبها يدعو دعاء خفيًا، ليس من حقها إخراج الدعاء والأمنية للنور، لقد حبست أحلامها داخل قفص في كل مرة يقسو والدها عليها، يفرض عليها أمورًا لا تحبها.

أمام مكتب دكتور عمر الخولي، يقف بصحبة ابنته الصغيرة، يشد على يدها، لقد أحضرها معه اليوم؛ لأنّ والدته مريضة لا تستطيع الاعتناء بها، وقبل أن يبدأ محاضراته، طلب من زميلة تعمل بشؤون الطلبة في الكلية أن تجلس معها، تحدث إلى ابنته بحب ونظرة أبوية تشملها: صغيرتي انتظريني هنا، بعد قليل سأحضر، ارسمي واستمتعي بوقتك بصحبة الأستاذة هناء.

ابتسمت الطفلة لوالدها، ثمّ قالت بصوت ضعيف وهي تشير نحو عنقها: أشعر بالألم هنا.

ضمها إليه مربتًا على ظهرها وشدد عليه، وضع يده فوق جبهتها؛ ليلاحظ ارتفاعًا طفيفًا في حرارة جسدها، أغمض عينيه ألمًا وحزنًا، لم يكن يتوقع حالتها.

أدار وجهه تجاه الأستاذة هناء، حثها على الاهتمام بها، طمأنته؛ لكن لم يرتَح قلبه، حسم أمره وعلل لنفسه أنّ الفصل الدراسي على وشك الانتهاء ولا يجب عليه الاعتذار.

تحدثت هناء بلباقة، وهي تمسك بكف الصغيرة: لا تقلق دكتور، سأهتم بها.

ترك عمر ابنته وتوجه إلى قاعة المحاضرات، يحارب نفسه بين اللوم والعتاب؛ لتركه ابنته وإحساس آخر يراوده، انتظار موعده الأسبوعي، داؤه ودواؤه.

"إن كان من فراقك دائي، اعلمي يا ساكنة الوصال أن لقاءك دوائي"

....

جلست أسيل ترسم لبعض الوقت حتى شعرت بالعطش وزيادة الألم في حلقها، طلبت من هناء أن تشرب، خرجت الأخيرة سريعًا لتحضر المياه بعد أن حثت الفتاة على الانتظار؛ ليمر الوقت ولم تحضر.

خرجت أسيل بحثًا عن والدها أو هناء، سارت بالممر، ولكن لمرضها وصغر سنها ودخولها المكان لأول مرة لم تعرف أين تذهب، ابتعدت عن مكان مكتب والدها، ولم تعد تستطيع العودة، وقفت وحيدة تبكي، تدفن وجهها بين كفيها الصغيرين.

انتهت وصال من أداء صلاة الضحى، بدعوات خفية لا يعلمها إلا الله، ثم هبطت الدرج للحاق بالمحاضرة سريعًا.

وجدت أمامها فتاة صغيرة تبكي وحيدة، لا يوجد بجانبها أحد تنظر حولها يمينًا ويسارًا، وتتساءل مع نفسها: مَن هذه الطفلة؟ لماذا تبكي؟ كيف وصلت إلى هنا؟!

على الفور ذهبت إليها، بابتسامة حب قائلة: ماذا بكِ يا جميلة؟ لماذا تبكين؟

فزعت الطفلة من الصوت، وجدت وصال بابتسامتها الهادئة تمسك بيدها سريعًا، وتجذبها داخل أحضانها وتربت على ظهرها، لاحظت انتفاض جسدها، ضمتها إليها أكثر تستشعر حرارة جسدها، تضمها أكثر خوفًا عليها؛ لتسمع صوتًا خلفها؛ فتتحدث هناء: أنتِ هنا يا أسيل وأنا أبحث عنكِ؟

وصال بلباقة ومازالت يدها تحاوط الطفلة: مَن تكون هذه الطفلة؟!

ـ ابنة الدكتور عمر.

نظرت لها وصال بصدمة، تعرف أنه متزوج ولديه طفلة، هذه أول مرة تراها، تُرى لماذا أحضرها؟ يبدو أنها مريضة.

لتكمل هناء: إنه الآن في محاضرة دفعتكم، لماذا أنتِ في الخارج؟

وصال أصبحت في عالم آخر تائهة، تنظر للفتاة بصدمة، تعيدها يد هناء التي تهزها برفق؛ فتجيب: كنت سأدخل الآن؛ لكن ماذا بها؟ هل هي مريضة؟

ـ نعم إنها كذلك، ولم يستطع الدكتور التغيب عن المحاضرة؛ فأتى بها معه.

ابتسمت وصال للفتاة وهي تقبض على يديها، وتوجه بصرها نحو هناء، تحثها على السير نحو مكتب والدها؛ لترتاح هناك قليلًا، وتأتي لها بالدواء المناسب، رفضت هناء فتح المكتب خوفًا من الدكتور عمر إلا أنّ وصال تحثها على ذلك وبشدة.

....

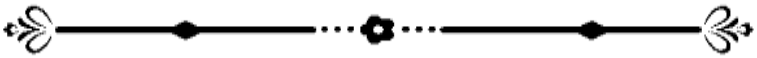

في شقة الدكتور عمر

تجلس مريم أخت عمر بصحبة والدتهما: أنتِ مريضة يا أمي.. تحتاجين إلى الراحة قليلًا، هيا إلى منزلي.

- سعاد بوهن: لا أستطيع ترك عمر وابنته وحدهما، ربما لو حضرتِ باكرًا ما كان ليأخذها.

- مريم بضجر: ابنكِ يرفض الزواج من أخرى ونحن نتولى حضانة ابنته.

- سعاد بحزن ووهن: لن تتغيري، اتركيه وشأنه، سوف تتأخرين على أسرتك، يمكنكِ الرحيل الآن.

- مريم وهي تحرك شفتيها يمينًا ويسارًا: ماذا به ليحبه الجميع؟ أنتِ تفضلين عمر أكثر مني، وتعاملينه أفضل... لأنه الولد!

ـ اسمعي ما يخرج من فيكِ يابْنتي، ثم تحدثِ!

ـ يا أمي!

ـ اتركيني الآن يا مريم.

- مريم بخزي وحزن مما قالته: أعتذر يا أمي.

- تنهدت سعاد بألم قائلة: هداكِ الله يابْنتي.

خرجت مريم في طريق العودة إلى منزلها، وتركت والدتها تفكر في كلامها، هل حقًا تفرّق في معاملتهما؟!

....

في مكتب الدكتور عمر تحدثت وصال بابتسامتها الشقية للصغيرة: أخبريني عن اسمكِ يا صديقتي الصغيرة.

ـ أسيل عمر الخولي، عمري ست سنوات، وأحب أبي كثيرًا.

وصال بضحك وهي تمد يدها ترحب بها: اسمكِ رائع، وأنا وصال.

عقدت أسيل حاجبيها ببراءة: وصال! غريب.

ضحكت وصال بصوت مرتفع، وقالت اسمها كاملًا: وصال رأفت الحوفي، هذا اسمي.

هزت أسيل رأسها وقد بدأ يظهر عليها الارتجاف بعض الشيء، سريعًا جذبتها وصال إلى حضنها، وسألتها بماذا بها؟ أجابت عليها الصغيرة أنها تشعر بألم حلقها وبالبرد، وأنّ أباها ذهب إلى عمله وتركها مع هناء.

تقضم وصال شفتيها للداخل، وتحدث نفسها بالغضب عن قاسي القلب؛ لتركه ابنته تعاني الألم، قامت سريعًا وهي تقبض على يد الطفلة، وتخبر هناء عن ذهابها إلى الصيدلية، لشراء ترمومتر لقياس درجة حرارتها، وبعض الأدوية، كانت هناء على وشك الاعتراض؛ إلا أنّ وصال أقنعتها بصحة الصغيرة وأنها ستنتظر معها وستفعل لها اللازم ولن تتأخر.

تخرج تنهيدة غيظ من داخلها قائلة: عند انتهاء هذه المحاضرة يمكنه الكشف عليها.

تأخذ وصال الطفلة وتقوم بعمل الكمادات وتأتي هناء بالدواء، والترمومتر؛ لتقيس درجة حرارتها فتجدها مرتفعة عن المعدل الطبيعي لها، تعطي

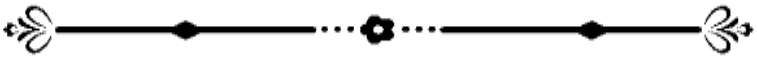

للطفلة ملعقة دواء وتحثها على النوم، تنام الطفلة داخل أحضانها وتتمدد بجوارها، تمسد على شعرها بحنان، وتدعو لها بالشفاء، مع وعد لنفسها بـ إلقاء اللوم على الدكتور لتركه ابنته المريضة، هل هذا من حقها؟

خرج عمر من المحاضرة سريعًا، بعد أن فقد أمل لقائها اليوم، حزن بشدة؛ لكن ماذا يمكنه أن يفعل؟

قرر الذهاب إلى ابنته، بعد لوم نفسه لتركها مريضة، بحث عنها بغرفة مكتبه، لم يجدها، ثار بشدة حتى وجد هناء أمامه، عنفها بالسؤال عن ابنته، أخبرته عن مكانها؛ ليذهب إليها.

لا يعرف ماذا ينتظره هناك؟

****

الفصل الثالث

صدام

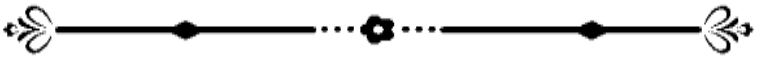

نظرت له وصال بعين كالصقر، وهتفت أسيل عند رؤية والدها: أبي.

تجاهل عمر نداءها؛ فحزنت الطفلة، لم تتحدث، نظر عمر بحدة لـوصال وتحدث بصوت حاد: أنتِ... كيف تجرأتِ على أخذ ابنتي دون علم مني؟

تعلقت الطفلة بأحضان وصال، هدهدتها بحنان؛ لترد قائلة بهدوء تام: عندما أجد الصغيرة تبكي، ولا تعلم مكان أبيها الذي تركها وذهب ليلقي محاضراته، رغم أنّ طفلته أخبرته بأنها تعاني من آلام في حلقها!

ألقت وصال جملتها الأخيرة بنبرة طفولية، ثم أردفت بسخرية وتهكم: هل يُفترض أن أتركها كما فعل والدها وأذهب لحضور محاضرتي!

نظراتها كانت تحوي تحديًا وغضبًا من صراخه العالي، وهو يبادلها نفس النظرة.

رفع عمر أحد حاجبيه وضم شفتيه كاتمًا غيظه من ابنته ومن هذه التي تلقي عليه اللوم في إهماله لها، حاول كظم غيظه قليلا، ولو تعلم أنها السبب الأساسي لهذا الموقف ما رفعت صوتها قط!

ينظر لابنته بابتسامة قائلا: أسيل صغيرتي حبيبة أبيها، أيمكنك انتظاري لثوانٍ، لن أتأخر.

ترد الطفلة بسرعة وحزن: أنت تذهب وتتركني مجددًا؟

عمر بحنان يظهر جليًا على وجهه عكس الغضب بداخله من نظرات وصال له: لا يا حبيبتي نحن سنرحل سويًا الآن، فقط سأذهب لدقيقتين.

وينظر في اتجاه الباب، ويشير بيده: سأكون بالخارج هنا.

تبتسم الطفلة: حسنًا فقط لا تتأخر لأني لازلت أشعر بالألم.

وتشير إلى حلقها، يمسد على شعرها ويقبل جبينها: معافاة يا صغيرتي.

أسيل وهي تشير بيدها تجاه وصال: بابا أنت تعرف أن اسمها وصال!

يلتهم شفتيه داخليًا بغيظ ويهز رأسه بالموافقة قائلا بحدة لم تدركها الطفلة ولكن وصال تعلم مقصده جيدًا: نعم يا حبيبتي، أبوكِ يعرف أنّ اسمها وصال!"

ويضغط على حروف اسمها بشدة، كل هذا ووصال تقف صامتة، ولكن تعلم أنه سيصب غضبه عليها لذلك يجب عليها الهدوء للرد عليه مثل ما يحدث في محاضراته.

ـ حسنًا انتظريني هنا يا رو...

ويقضم باقي كلمته: ليس هنا يا أسيل.

لتبتسم وصال، فهمت مقصده.

ـ ما هو الذي ليس هنا يا بابا؟

ـ فقط انتظريني.

ليقبض على معصم وصال فجأة ويجذبها للخارج، تسير خلفه، تحاول جذب يدها؛ لكنها كانت قبضة فولاذية تنم عن غضبه الداخلي تجاهها، يتوقف عند الباب على كلمات أسيل: فقط أترك وصال معي.

استدار نحو ابنته: حبيبتي أنا أريد الحديث معها.

ينظر تجاه وصال، يجدها تغمض عينيها بشدة من كثرة ألمها لقبضه على معصمها، تهبط دموعها تباعًا.

ليترك معصمها فورًا، لكن دقة ألم غير عادية نبضات قلبه شعورها بالألم، رؤيتها هكذا، اعتاد أن تكون دائمًا ندًا له، نظراتها تملك القوة، لكن ضعفها، آآآآآآه من ضعفها، نصل حاد أصاب قلبه!

رفعت وصال معصمها أمام عينيها، وضعت يدها تتحسس ذراعها وجدته محددًا بأصابعه، وكأنّ يده دُمغت فوق معصمها، علمت أنه فورًا سيتحول من اللون الأبيض إلى اللون الأحمر، إذًا بعد فترة سيتحول إلى اللون الأزرق.

كل هذا لنفسها وأخبرتها عيناه عنها، ألقت عليه نظرة عتاب قبل أن تنظر لمعصمها مرة أخرى وترحل في صمت.

لم يمتلك الجرأة للحاق بها، شرد ببصره في اتجاه هروبها للخارج، يلاحظ توقفها عند صديقاتها، واحتضان إحداهما لها، يزداد ألمه وغضبه الداخلي أضعافًا، لكن هذه المرة من نفسه، يعود للواقع على صياح ابنته بحزن: لقد رحلت دون توديعي؟ لقد اتفقنا أن نصير أصدقاء، كنت أريد رقم هاتفها لقد أحببتها يا أبي!

صُدمت هناء مما حدث للتوّ أمام عينيها، تلاحظ شرود عمر؛ لتجذب الطفلة إليها بابتسامة بسيطة: لا تحزني، سأعطيكِ رقم هاتفها، هي فعلًا

فتاة لطيفة تستحق الحب، فقط من الممكن أن تكون مرهقة قليلًا وستعود فيما بعد لرؤيتكِ.

وتنادي هناء: دكتور عمر، أيمكنك سماعي لخمس دقائق فقط؟

يهز رأسه بالموافقة، لقد تاهت الحروف والكلمات من داخله؛ لتسرد عليه هناء منذ تركها في المكتب مع ابنته، حتى حضوره إليها بمكتبها.

أخبرته هناء بكل ما حدث وكأنها ألقت على مسامعه كلمات مبهمة، زادت من صمته وغضبه، لو كان ألمه مئة مرة فأصبح الآن ألف مرة.

لتكتمل صدمته بحديث أسيل وهي تقول بفرح يطل من عينيها وإشارة يديها: كانت تضمني إلى أحضانها وأنا نائمة، وتربت على رأسي وتقبلها كل حين، وتطمئنني بأنك لن تتأخر، وحكت لي قصة.

رأى نفسه وكأنه داخل متاهة من الندم، أصوات اللوم بداخله كأنها نار مستعرة، تأكله حيًا.

اهتمت بابنته، جلبت لها الدواء، احتضنتها بحب، وكان جزاؤها الألم الجسدي والنفسي، زفر بغضب: حسنًا هيا لنذهب.

أسيل بحزن: أنت غاضب مني لأني خرجت من مكتبك وجلستُ مع وصال، أعتذر أبي.

لقد زادت من عذابه وألمه، إنها دائرة مغلقة من الحزن ولوم النفس، سياط لا تتوقف ولا تتوانى عن اللوم داخليًا أو خارجيًا.

يتبادل النظرات مع هناء، ومرة أخرى مع أسيل، ليتنهد بابتسامة مخنوقة تظهر على وجهه: لا أبدًا حبيبتي، لقد كنت قلقًا عليك فقط.

ثمّ التفت نحو هناء بابتسامة ممتنة: شكرًا على تعبكِ يا سيدة هناء، اعذريني على انفعالي فقط كنت قلقًا على أسيل.

ـ لم يحدث شيء، فقط يجب أن تأخذها إلى الطبيب، لقد أعطتها وصال دواء خافض للحرارة وقالت يجب أن يراها طبيب.

عمر داخليًا: وصال، وصال، وصال!

هز رأسه بالموافقة، وأخذ ابنته ورحل، بعد حصوله على رقم هاتف وصال.

....

في شقة مريم

دخلت مريم شقتها وفور دخولها، جرى عليها ابنها يوسف، لم يسأل عن حالها ولكن سأل عن أسيل.

ـ أمي هل رأيتِ أسيل، كيف حالها؟

تتأفف مريم من سؤال ابنها: جيدة، ذهبت مع خالك للكلية، وليس كل دقيقة تسألني عنها، انسَها.

محمود بحدة: مريم! ما الذي تقولينه؟! تلك الفتاة ابنة أخيكِ ويتيمة، لا أعلم كيف تكونين بمثل هذا السوء، كما أنّ أمها رحمها الله، فقط أحذركِ لأجل أخيكِ، إذا أردتِ أن تخسريه، فأنا لا أريد خسارة صديق العمر!

مريم بسخرية: مثلما خسرت زوجته!

صفعة قوية هوت على وجه مريم، كوّنت أربع أصابع مرسومة بحرفية، وبصوت عالٍ: لولا ابنك كان لي تصرف آخر معكِ، أوصل الأمر للعرض والشرف يا سيدة يا متعلمة؟!

مريم وهي تضع يديها على وجنتها: تضربني يا محمود، هل جاء حديثي على موضع الجرح فأحرقه؟

محمود بجنون: أي جرح وأي حرق أيتها المختلة؟ هل تدركين ما تتفوهين به، أنتِ تتهميني في شرفي مع زوجة أخيكِ المتوفاة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله... أستغفر الله العظيم!

ـ لا أتهمك، لكنّها الحقيقة الموجعة، ألم تكن تحب نهلة؟

جاء سؤالها الأخير بنبرة صارخة مهتزة؛ فجعل دلوًا من الماء البارد يسقط فوق رأسه، هز رأسه بعنف من صدمة كلماتها ليتحدث بغير هدى: من أين أتيت بهذه الترهات وما دليلكِ؟ لذلك تكرهينها، لأوهام مختلة ووساوس من الشيطان في رأسكِ فقط؟!

قالت ببكاء حاد وعالٍ: ليست أوهامًا، لقد رأيت رسائلك التي لم ترسلها لحبيبة القلب في منزل والدتك، أتقول أوهامًا؟ وما رأيته بتلك الأوراق؟!

تنهد محمود وزفر عاليًا: وفقط لأنها باسم نهلة ينبغي أن تكون زوجة أخيكِ، أقمتِ المحكمة وأصدرتِ أحكامكِ الواهية عليَّ وعلى تلك المسكينة الراحلة دون سماع أي دفاع!

ثمّ ألم يهتدِ لعقلك بأنّ هناك الكثيرات يحملن الاسم نفسه!

اقترب منها وأمسك يديها وهو يقول بغضب: لكني سأتركِكِ هكذا لتعيشي بين هذه الوساوس ليل نهار لتحترقي بنارها!

نظر إليها من أعلى إلى أسفل وتركها ورحل.

....

تختفي الشمس تدريجيًا، لقد أكلتها السماء، يظهر الشفق الأحمر من بعيد، تنبعث منه أشعة حمراء، جلست بشرفة شقتها تنظر إلى الأشعة الحمراء وكأنها شرارة اللهب التي تخرج منها.

هند: ستظلين جالسة هكذا طويلا؟

نظرت لها وصال ومن ثم عادت تنظر إلى السماء وهي تقول: أتعلمين يا هند أنني أشبه هذه الشمس.

ضيّقت هند عينيها بعدم فهم فأكملت قائلة: عندما أفرح يضيء وجهي مثلها كأنه الشروق بعد عتمة الليل، والحياة يكون لها طعم مختلف، وعندما أحزن كأني هي عند الغروب، وهذا الشفق الأحمر يخرج مني كآهات صغيرة لا يشعر بها سوى مرهف السمع.

وصمتت فجأة، فقالت هند: كنتِ تعلمين أنها ابنته؟

غامت عيناها بالدموع، وهزت رأسها بالإيجاب؛ لتسقط من عينيها دموع كاللؤلؤ في خيطٍ واحد: علمت منها عندما وجدتها تبكي، أشفقت عليها وضممتها لصدري، كانت مريضة للغاية!

زفرت أنفاسًا متقطعة وابتسمت بسخرية: وما هي النتيجة؟

نظرت إلى معصمها وتذكرت قبضة يده وكأنه قبض على قلبها وليس يدها، ألمٌ مضاعف ممَن يمتلك قلبها!

فجأة تحدثت هند باستدراك مذهول: تحبينه!

وقفت وصال وقالت: سأعود لمنزلي بالغد.

كأنها لم تسمع السؤال مطلقًا، نظرت هند في أثرها بحزن، رغم صداقتهما القوية إلا أنهما يتركان لبعض المساحة والوقت الكافي للحديث في أمورهما الخاصة.

هند، وصال، نيرة، صداقة لإكمال الذات.

ثوانٍ وسمعت هند دقات هاتفها لتجد اسم نيرة يظهر؛ فقالت بحزن: نعم يا نيرة.

ـ كيف حالكِ، وكيف هي وصال الآن؟

ـ الحمد لله نحن بخير، لا تقلقي.

ـ سأجعل سيف يوصلني أقضي ليلتي معكما.

ـ لا داعي، هي لم تتحدث، فقط أخبرتني بأنها ستعود لمنزلها غدًا.

ـ ثوانٍ يا هند، حسنًا يا سيف، لن أذهب.

هند على ذكر اسم سيف، اخترق قلبها وليس أذنها، ابتسمت لتسمع صوت نيرة ثانية: حسنًا سأطمئن عليكما بالغد، اعتني بنفسكِ وبوصال.

أغلقت هند الهاتف، مع دعاء خفي وصامت من قلبها وتضرع إلى الله، إما أن يجعله من نصيبها، أو يخرجه من قلبها.

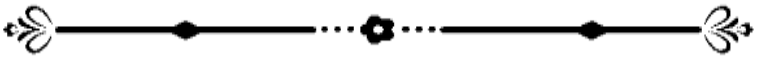

داخل قسم الشرطة.

يجلس على الكرسي، قائمًا بظهره للخلف ورافعًا ساقيه فوق المكتب.

دخل سيف فجأة متحدثا بقوة: حسنًا يا جاسر فقط ركز بعملك قليلًا، الإرهاب والشغب بكل مكان، لا تنبش بأشياء أكبر منك لكي لا يضعك أحدهم برأسه فتندم.

جاسر وهو يضع مسدسه خلف ظهره ويرتدي سترته: لا تهتم لأمري.

ثم تابع وهو يغمز بعينيه: لن أهدأ حتى أجلب لها حقها، وحق زوجة مازن وأخيه.

طرق سيف على المكتب بيده: وهل تعلم أنت أين هو حقهم هذا، منذ شهور وأنت لا تعرف موضع رأسك من قدميك، طريقك مظلم فقط انتبه لعملك وحافظ على حياتك.

جاسر بألم: كيف تطلب مني التركيز بعملي وهي رحلت وأخذت روحي معها؟!

خبط على صدره بعنف: قلبي هذا توقف عن الخفقان، صديقك يظن بأنني السبب بموت عائلته!

سيف بهدوء اقترب منه: أخاف عليك يا صديقي.

ابتسم جاسر وشدّد على ذراع صديقه: لو كان لي أخ فلم يكن ليخاف عليَّ مثلك، وجودك حولي نعمة أقدرها، سأذهب لعمر.

حمل سيف أغراضه وقال: إذا كان الأمر هكذا، ستأتي لتتناول غداءَك في منزلي، ثمّ نذهب لعمر سويًا، أمي ستفرح بوجودك كثيرًا.

جاسر محاولًا الاعتراض: لا...

رفع سيف يده أمام وجهه: لا تكمل، هذا أمر عسكري، ويجب عليك التنفيذ.

قدم جاسر التحية العسكرية مبتسمًا: حسنًا يا سيدي... لكن هل رأيت مازن؟

ـ كان هنا وذهب.

خرج الصديقان معًا، تحت نظرات أحدهم.

....

في شقة عمر

دخل عمر وأغلق الباب خلفه، قلبه معبأ ليته يستطيع التحدث، قابلته والدته بالترحاب: حمدًا لله على سلامتك يا بني، لماذا تأخرت؟!

قال عمر بحزن داخلي وظاهر على قسمات وجهه: سلمكِ الله يا أمي، كيف حالكِ الآن؟

ثمّ تنهد بألم وأكمل: أخذت أسيل للطبيب، لقد مرضت قليلًا.

قالت وهي تجذب أسيل نحو صدرها: سلامتك يا حبيبتي، كيف أصبحتِ الآن؟

ـ الحمد لله يا جدتي.

وأشارت إلى حلقها: أشعر ببعض الألم هنا، وصال أخبرتني بأنني سأتحسن عندما أتناول الدواء.

نظرت سعاد إلى عمر وجدته ينظر أرضًا فقالت: أخبريني يا أسيل هل الدكتورة اسمها وصال؟

رفع عمر بصره إلى ابنته وهي تهز رأسها نفيًا: لا وصال هي فتاة جميلة وطيبة عند أبي في الكلية، أعطتني الدواء وجعلتني أنام في حضنها قليلًا.

نقلت سعاد بصرها إلى وجه ابنها، وجدته يشع غضبًا وغيظًا، فابتسمت: تعالي يا أسيل لأبدل لكِ ثيابكِ وأخبريني عما حدث منذ مغادرتكما من المنزل.

أطلق سبابًا لاذعًا بخفوت كي لا تسمع والدته، وقال بصوت شبه مسموع: الأطفال لا يحفظون السر أبدًا!

نظرت أمه له بابتسامه ليقول: تعالي وأنا سأعطيكِ التقرير.

ـ لا عندما أسمع من أسيل أولًا؛ لكي لا تنسى التفاصيل.

ذهب إلى حجرته مغلقًا الباب خلفه، أضاء ضوء الغرفة، هامسًا لنفسه: وصال، وصال، يا وجع القلب يا وصال!

فتح هاتفه ونظر إلى رقمها، يتمنى أن يكون له الحق في الاطمئنان عليها، سأل نفسه هل يمكن أن يرسل رسالة قصيرة؟ زفر عاليًا، قرر الاتصال وعدم الكلام، يكفيه سماع صوتها، رن هاتفها لكن لا رد، زاد ألم قلبه؛ فكيف لوصاله أن تهدأ ومن سكنت وصاله وقلبه ببراءتها حزينة!

الفصل الرابع

غربة روح

"يوم جديد، على الكل سعيد، مليء بالسرور؛ فهناك لقاء يعيد لنا غربة الروح، وهناك غياب يجعل روحنا في غيابة الجب"

دخلت وصال الشقة بمرح كعادتها وقالت بسعادة: يا أهل البيت، يا قوم، يا سناء، يا ماما، يا أم وصال، يا أبا وصال، أين أنتِ يا سناء وأين زوجكِ؟

أين ذهب هؤلاء، أيعقل أن آتي ولا أجد أحدًا ينتظرني؟ أين الطبول والمزامير؟ أين أنتم يا بشر؟!

بدأت في البحث عنهم في الغرف والمطبخ؛ ليأتي دور غرفتها، فتحت الباب فوجدت الغرفة مزينة وبها بالونات وعلب من الهدايا المميزة على الفراش، ضحكت وهي تحتضن الهدايا: إنه يوم مولدي! لقد نسيت حقًا.

ـ لكننا مستحيل أن ننسى يوم ميلاد وصالنا!

قالها والدها وهو يجذبها نحوه، ثمّ تابع بحبّ: كل عام وأنتِ بخير وصالي، لقد اشتقتك كثيرًا، فقط بقي القليل لكي تنتهي دراستك ونعود سويًا مرة أخرى.

احتضنت أباها بشدة؛ لتجذبها والدتها: تعالي يا وصال أمك، كل عام وأنتِ بخير يا حبيبتي وصاحبتي وأختي.

ـ أمي حفظكِ الله لي.

بكت وصال لحبّ والديها ونعمة وجودهما في حياتها، مرت أمام عينيها صورة أسيل وعمر لا تدري ما سببها، ولكنها ابتسمت وقالت: أنتما أفضل هبة وهبها الله لي.

ـ رأفت هيا الغداء لقد تضورنا من الجوع.

قالت وصال بطريقة تحذيرية مرحة: إياكِ أن تكوني نسيتِ المكرونة بالباشاميل والسمبوسة يا سناء.

جذبتها والدتها من حجابها؛ ليسقط من على رأسها: الجميع على سناء، حسنًا وجب عليكِ الحديث بأدب عندما تطلبين شيئًا من أمك، لكنكِ هكذا دومًا لسانكِ بريء منكِ.

ـ تُمارس مهنتها منذ الآن، الأستاذة وصال الصحفية.

وصال بقوة وضحك في آنٍ واحدٍ: إن شاء الله أكون رئيس تحرير جريدة الجمهورية أو الأهرام، هل عندكما شك في قدراتي؟

ـ لا يا حبيبة أبيك نحن نثق في الله وفي قدراتك، رزقكِ الله ما تريدين تحقيقه.

وصال وهي ترفع يدها: يا رب يا أبي.

نظرت تجاه والدتها وجدتها صامتة: ماذا يا سناء، ألا يوجد دعوة واحدة لابنتكِ؟ لقد أحضرت لبًا وفولًا سودانيًا لنسهر طوال الليل.

ـ سناء مجددًا، ألا تتعظين، لولا وجود والدكِ لكان لي رد فعل آخر معكِ أنتِ تعلمينه جيدًا!

تشير إلى نقطة ما تفهمها وصال، فتتعلق وصال بعنق والدها: أبي أنجدني، أمي تريد...

ـ اهدئي قليلًا يا سناء، أنا لا أعرف من منكما الكبرى، هل وُلدتم فوق رأس بعضكما، المفترض بأنكِ العاقلة، هداكِ الله!

ـ ما هذا الرجل؟! لقد جاءت ابنتك لتأكل عقلك، حسنًا لأخبرك بأنك الكبير العجوز، والله لأترك لكما المنزل وأرحل!

ـ هل غضبت أمي يا أبي؟!

ـ لا يا حبيبتي، هيا بنا نحضر الطعام ونتركها تتدلل قليلًا.

أخذها تحت كتفه وهو يقول: الآن يا جميلتي، لقد اشتقتكِ كثيرًا.

سناء من غرفتها: أسمعك من هنا، فتوقف عن حديث العشاق هذا مع ابنتك!

يضحك رأفت ووصال، وقالت وصال وهي تشير بإصبعها السبابة على فمها: يجب أن نصمت!

....

جلس عمر مع والدته على الغداء شارد الذهن، فتحدثت قائلة: ماذا هناك يا عمر، لما لا تأكل وتجلس بصمت؟!

عمر: أنا بخير يا أمي، فقط لدي تحقيق مهم مشغول به.

ـ أبي متى ستذهب إلى الكلية، لقد اشتقت لرؤية وصال.

نظر لها عمر طويلًا، ثمّ إلى والدته وهي تقول: هل هي جميلة يا عمر؟

أسيل بحب تتحدث عن وصال: جميلة جدًا، وأخبرتني أنّها لديها خصلة شعر بيضاء مثلي.

أسيل تشير إلى شعرها، نظر إليها عمر وكأنه رأى ملامح وصال أمامه، ابتسم بغير قصد وظهرت ابتسامته على وجهه مليًا، تذكر رؤيتها لأوّل مرة وخلصتها البيضاء شاردة على وجهها خارج حجابها، خجلها منه، قوتها الزائفة أمامه لتقول سعاد: الواضح بأنّها رائعة الجمال وليست جميلة فقط! ولستِ وحدكِ من أحببتها، يبدو بأنني سأحبها أيضًا عندما أراها.

ـ من أيضًا يحب وصال، هيا أخبريني جدتي!

سعاد بابتسامة وهي تنظر لـ عمر: غدًا نعرف!

تركهم عمر وذهب؛ لتضحك سعاد وحفيدتها وهما تخططان لشيء ما، سعاد لعمر: انتظر، أعطِني رقم هاتف وصال.

ثبت مكانه، لمَ تطلب والدته رقم هاتف وصال؟!

هل تحدثها؟! يا لله ما هذا المأزق؟

عاد مرة أخرى بملامح جامدة صلبة: خيرًا لمَ تريدين رقم هاتفها؟!

أسيل وهي تتعلق بذراع والداها: أنا أريد التحدث إليها يا أبي.

لتكمل سعاد حديثها: وأنا أريد شكرها على عنايتها بأسيل، هل هناك خطب ما؟!

عمر بنزق: ليس هناك شيء، تفضلي يا أمي.

ابتسمت سعاد لرؤية خجل وقوة زائفة من ابنها، هل حان الوقت لعودته للحياة من جديد؟!

....

بشقة وصال ليلًا، سناء في غرفتها تتحدث: هل ستنام يا رأفت؟!

قال مجيبًا إياها وهو يحرك هامته: نعم لقد استهلكت ابنتك كل طاقتي وأصابتني بصداع الرأس؛ لكنّني حقًا كنت أفتقدها.

وتنهد بحزن: أتعتقدين بأننا سنراها عروسًا ذات يوم؟!

سناء بسرعة وهي تدعو: بارك الله في عمرك لنا، وتراها أجمل عروس، وتكون أنت من يسلمها ليد عريسها، هل تظن بأنك صرت عجوزًا حقًا؟!

اقتربت من زوجها أكثر وقالت: أنت ستظل بعيني شاب دومًا.

قال مبتسمًا: يا سنسن أنتِ التي لازلتِ صغيرة، وأجمل من ابنتكِ أيضًا.

ـ ابتعد هكذا، أنا سأذهب للنوم مع ابنتي.

قبلت زوجها وذهبت بالفعل، ليقول: اتركيها قليلًا، ابقي معي.

ـ لا تتدخل بيننا، أريد السهر معها قليلًا لقد اشتقت إليها.

تنهد رأفت مستعينًا بالدعاء: بارك الله لي بكما.

خرجت وتركته.

....

في غرفة وصال، دخلت سناء وأضاءت المصباح، وصال تتحدث من أسفل الغطاء: لا تشعلي الإضاءة يا سناء واذهبي للنوم بجوار زوجكِ، أريد النوم وحدي.

سناء وهي ترفع الغطاء عن ابنتها: أفسحي لي قليلًا يا فتاة، لن أنام سوى هنا، إذا أردتِ يمكنكِ أنتِ النوم بجوار أبيكِ.

ـ لا أعلم ما الذي جاء بي هنا، النوم في السكن مريح أكثر.

ونامت بجوار والدتها كل منهما تأخذ طرف الفراش، بعد وقت من الصمت:

سناء هل نمتِ؟!

ـ نعم والأفضل أن تنامي أنتِ أيضًا.

ـ انهضي لكي نتحدث.

ـ لا سأنام، فقط اصمتي، أوجعت لي رأسي منذ قدومكِ.

ـ يا سناء توقفي عن تلك الحركات؛ لأنكِ لن تنامي ولا أنا أيضًا دون أن أتحدث وتسمعيني أحكي كل شيء!

ـ لا أريد سماع شيء منكِ.

قالت وصال وهي تتنهد: لقد تشاجر معي!

ـ أنتِ لا ينفع معكِ سوى من يكسر رأسكِ اليابس هذا!

ما زالت سناء نائمة تولي ابنتها ظهرها؛ فقالت: أنتِ سعيدة بما حدث؟!

اعتدلت سناء، أضاءت المصباح، وابتسمت: بالتأكيد، هيا أخبريني ما حدث، سأسمعكِ.

ـ لقد رأيت ابنته، جميلة ولطيفة، لديها خصلة بيضاء مثلي، تشاجر معي لأجلها.

ـ ما الذي حدث؟ كيف رأيتِ ابنته، ومتى؟!

سردت وصال تفاصيل اللقاء كاملة إلى والدتها حتى قالت: وفقط، عدت اليوم ولن أحضر المحاضرة القادمة، لا أريد رؤيته أو الحديث معه، ماذا فعلت لكل هذا؟!

ـ لا ستذهبين.

وصال تهز رأسها بالنفي، فقالت سناء: اسمعيني، أنتِ ستذهبين للمحاضرة ولكن ستجلسين بصمت، دون الحديث بحرف كأنه شخص عابر لا تعرفينه.

ـ لن أستطيع يا أمي، لقد جرحني كثيرًا.

ـ هل جننتِ، ولماذا كل هذا؟ هل أعطاكِ الرجل كلمة منه أو وعدًا؟! هو أب يخاف على ابنته، هل نسيتِ أنها يتيمة وأنه الأب والأم معًا؟

ـ حسنًا يا أمي، لكن ما فعلته هل كان صوابًا أم خطأ؟!

ـ من أي ناحية تحديدًا؟!

ـ الفتاة يا أمي، واهتمامي بها؟

ـ هي طفلة يابْنتي وكانت مريضة، أنتِ قمتِ بما عليكِ، لكن عندما علمتِ بأنها ابنته زاد اهتمامكِ بها.

ـ أمي هل يمكنني أن أسألك عن شيء؟

ـ لم تتوقفي عن الحديث منذ ساعات هل جاءت على هذا السؤال؟!

ـ لماذا تسمعينني وتتحدثين معي، أليس من المفترض كأم ألا تتركيني لهوى نفسي في أمر مثل هذا؟

ـ حزينة لأنكِ تتحدثين معي، وأنني أتخذ دور صديقتكِ وأعطيكِ النصيحة التي تحتاجينها؟!

ـ لا، لكني أرى الأمهات دائمة الاعتراض على أمر مثل هذا، خاصة عندما يتعلق بالحب ومثل تلك الأمور؟!

ـ كنت الفتاة الوحيدة على ثلاثة إخوة من الذكور، وجدتك -رحمها الله- كانت جامدة في تربيتها لي كأني غير موجودة، لم يكن لي صديقة سواء بالمنزل أو خارجه، فقط من المدرسة إلى البيت والعكس، إلى أن طلبني أبوكِ للزواج، كان يكبرني بـثلاثة عشر عامًا، لكنهم وافقوا رغم فرق السن الذي كنت أراه بوضوح، ولم يكن لي حق الاعتراض سواء أمام أمي أو إخوتي، لكنّني سمعت الناس يتحدثون عنه بكل خير، ثمّ تزوجنا، في البداية كنت أخافه، ثمّ اكتشفت بأنه نعمة من الله، دعوت الله أن يكمل فرحتي بفتاة تكون ابنتي وأختي وصديقتي، لكنّني تأخرت حتى حملت وأكرمني الله بكِ، وأصبحتِ ضرة لي وليس فقط ابنتي، وأخذتِ مني زوجي!

وصال بابتسامة: أمي هل تحبينه؟

ـ أحبه كلمة قليلة، هو رجل به كل ما تتمناه أي امرأة.

ـ أتعرفين أن عمر يكبرني باثني عشر عامًا.

ـ يابْنتي فرق السن لم يكن يومًا عيبًا بين الزوجين، يكفي الحب والتفاهم والاستقرار.

ـ أتعتقدين بأننا قد نتزوج ذات يوم، أو يكون لي نصيب به؟!

ـ فقط ادعي الله بالخير، أعلم بأنّ القلب ليس له سلطان، لكنّني أثق بكِ وبتربيتي لكِ، فقط حافظي على نفسكِ، ولا تخفي شيئًا عني.

وصال وهي تقبل والدتها: أحبكِ يا أجمل سناء.

ـ حسنًا هيا نامي الآن، وأنا سأذهب لزوجي وأتركِ للوسادة الخالية وتتأملين نجوم السماء وحدكِ.

ـ حسنًا يا سناء، سأتركِ على راحتكِ.

ـ بل أنا من سأجعل أبا وردة يمسي عليكِ، نامي يا فتاة!

....

وصل جاسر مع سيف إلى منزله، هبطا من السيارة.

ـ تصدق أنّ اليوم عيد، لم تأتِ لمنزلي منذ وقت طويل.

ـ لولا أني أعرفك جيدًا لكنت أقول بأنك تجاملني.

- سيف يضحك قائلًا: ألا يمكن بأنني أجاملك فعلًا؟!

- هز جاسر رأسه بالنفي، لكن استوقفته دقات هاتف ليقول لسيف: ادخل أنت وسألحق بك بعد قليل.

ـ حسنًا لكن لا تتأخر.

وقف جاسر يرد على هاتفه؛ لكنّه كان غير منتبهٍ للمارة من حوله، رجع بظهره إلى الوراء قليلا؛ ليصطدم بها ويقع هاتفه أرضًا، سريعًا أدار نفسه: ألا ترى أيها الحيو...

ابتلع باقي كلماته عندما وجد أنها فتاة، ولأنها ليست أي فتاة اتخذت وضع الهجوم مسبقًا: بل أنت الذي لا يرى يا بني آدم، هل يوجد أحد يمشي بظهره هكذا؟!

- جاسر بغضب التقط هاتفه من الأرض ونظر إليها بحدة: لولا أنكِ فتاة كنت قمت بواجبي معكِ.

- نيرة: حقًا! فقط تحدث بما تستطيع فعله يا سيد.

ـ إذا كنت سأتحدث بما أستطيع فعله فأنا أستطيع فعل الكثير، ولكن لسانكِ هذا ما العمل معه؟!

ـ بل أنت غير المح....

- قاطعها جاسر: حرف آخر وستصبح باقي أيامكِ القادمة سوداء، وهيا اذهبي من هنا قبل أن تكوني أول فتاة أرفع يدي عليها!

ـ هل هذا هو أقصى ما لديك؟!

تركته ورحلت، نظر جاسر إليها بغضبٍ تامٍ، تمنى لو كانت لديه الفرصة لقطع لسانها وبتره، أخذ شهيقًا طويلًا، أخرجه على مرات مع ابتسامة.

زادت وسامته الطاغية لأول مرة يرى فتاة تقف أمامه، لا يهمها شدة وسامته التي تجذب الفتيات إليه، فقط أخذت حقها ورحلت، وصعد إلى سيف.

....

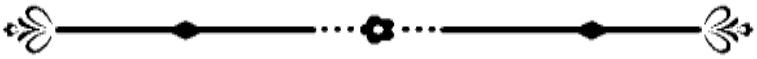

- وصال بضجر: أمي أغلقي الشرفة، أريد النوم.

ـ لا، هيا استيقظي لكي نتناول الفطور سويًا.

- وصال بتثاؤب: لا أريد أن آكل، أريد النوم.

ـ هيا يا وصال، أريد الحديث معكِ بأمرٍ هام.

ـ ألا يستطيع المرء النوم في منزله براحة، حسنًا لقد استيقظت، ما الأمر؟!

ـ أولًا اغسلي وجهكِ بالماء.

ـ لا أنا أحبّه هكذا، هيا أخبريني أين أبي؟

ـ ذهب لأمرٍ هامٍ وسيعود قريبًا.

ـ أمي ما الذي يحدث، لقد بدأت أقلق؟

ـ لا يوجد شيء، فقط أبوكِ يريد أن ننتقل للعيش بالقاهرة، لم يتبقَّ سوى شهر قبل إحالته على المعاش، لا يريدكِ أن تعيشي وحدك خاصة بأنكِ تنوين العمل.

ـ حقًا يا أمي، وبالتأكيد سأعمل!

ـ أبوكِ يقول بأنّ عليه مساعدتك لتحقيق حلمك، وهو يريد مساعدتكِ على ذلك.

- وصال محدثة والدتها بحبٍّ: حسنًا، وأنتِ يا أمي ماذا تريدين؟!

- سناء بتنهيدة: أنا أتمنى البقاء معكِ اليوم قبل الغد.

الفصل الخامس

انتظار

انتبهت على دقات الهاتف، نظرت وصال طويلًا للهاتف وقالت: إنه رقم مجهول!

- سناء: ردي، لتري من المتصل.

ـ ألو، السلام عليكم ورحمة الله.

- سعاد ردت بلهفة لسماع صوتها مجيبة: عليكم السلام ورحمة الله، معكِ السيدة سعاد، والدة الدكتور عمر.

وصال تنظر إلى والدتها بتعجب مرددة بصوت خافت تمامًا غير مصدقة ما سمعته أذنيها:

- والدة دكتور عمر!

- وصال بعد أن التفتت للمكالمة: نعم، مرحبًا بكِ سيدتي.

- سعاد بحب مستساغ في صوتها: مرحبًا بكِ أنتِ يا صغيرتي، هل أزعجتكِ؟!

- وصال بعد أن احمر وجهها خجلًا ردت: لا أبدًا يا سيدتي، كيف حالكِ وأسيل كيف هي الآن؟ هل ذهبت للطبيب؟!

سعاد مبتسمة بعد أن سمعت لهفة وصال في حديثها:

- هي من طلبت مني أن أحدثكِ، لقد اشتاقت إليكِ كثيرًا، ولم تتوقف عن الحديث عنكِ منذ قابلتكِ، هي تحبكِ جدًا.

ـ أنا أيضًا أحبها جدًا، واشتقت إليها كثيرًا.

- سعاد بصيغة طلب مبهمة: تريد رؤيتكِ، وأنا أيضًا من حديثها عنكِ أحببتكِ وأريد رؤيتكِ.

ـ هذا شيء يشرفني يا سيدتي، هي فتاة جميلة وتجعل المرء يحبها.

ـ هل يمكننا أن نتقابل يا وصال؟ أسيل تريد رؤيتكِ مجددًا بشدة!

نظرت وصال إلى والدتها وقالت:

- لكنّني لن أستطيع حاليًا لأنني في منزلي خارج القاهرة.

- سعاد: أنتِ مغتربة!

- وصال بجدية: نعم.

- سعاد بدعاء من القلب: وفقكِ الله، أعتذر لأنني سأتعبك، لكن أسيل تريد رؤيتكِ، هذا لأجلها.

- وصال مقاطعة كلامها بأدب: سيدتي أنا أتفهم هذا، رحم الله والدتها، أنا أيضًا أريد رؤيتها.

- سناء تشاور لوصال وتطلب أن تكلمها، وصال: أمي تريد محادثتكِ.

- سعاد: نعم بالطبع.

- سناء: مرحبًا بكِ سيدة سعاد، كيف حالكِ؟

ـ أهلًا بكِ سيدة...

ـ سناء، اسمي سناء.

ـ تشرفنا يا سيدة سناء، أعتذر لأننا سنتعب وصال، أسيل تريد رؤيتها.

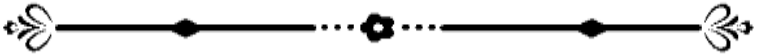

- سناء: لا يوجد أي داعٍ للاعتذار، لقد أخبرتني عن الصغيرة وهي تحبها كثيرًا.

- سعاد: بارك الله لكِ بها، لقد اهتمت بالصغيرة كثيرًا، لقد كنتُ مريضة واضطر عمر لأخذها معه.

- سناء: سلامتكِ، حفظكِ الله لهما.

ـ سلمكِ الله، وبإذن الله قريبًا نجد الفرصة لكي نتقابل.

ـ إن شاء الله، فرصة سعيدة!

- أغلقت الخط تنظر للهاتف بصمت، ونظرت إلى وصال: ستذهبين؟

ـ لا أعلم، ما رأيكِ يا أمي؟

ـ ما أعلمه بأنني قد أحسنت تربيتكِ، احترسي من نفسكِ وغالبي هوى أمركِ، أنتِ صحفية وغدًا ستعملين وتكون لكِ حياتكِ، فكري في مثل هذا الموقف وكيف ستتصرفين، أو تخيلي بأنكِ في برنامج بريد القلب فكيف ستكون إجابتكِ؟!

- وصال غامت بكلام والدتها وسرحت فيه مرددة بهمهمة الكلام: فرجها الله.

....

في مدينة القاهرة من جديد

عادت وصال مرة أخرى إلى دراستها، وكأنّ شيئًا لم يكن، ولم يكن هنالك مشكلة جعلتها تعود إلى أحضان والدتها بغرض الراحة، ثمّ عادت مرة أخرى إلى ساحة المعركة.

يلتقي مثلث الأصدقاء يوميًا بمرجٍ وحبٍّ ومشاكسات دائمة بينهم، إلى أن جاء اليوم السابق لمحاضرة دكتور عمر.

- نيرة: وصال، هل يمكننا الحديث معكِ دون أن تغضبي لأنه أمر خاص؟!

- هند بحدة: نيرة إذا سمحتِ اتركيها على راحتها، ليس من حقنا الحديث بشيء يخصها، إذا كانت ترغب بالحديث معنا لفعلت.

- وصال بضحكتها المميزة: هل أعلنتما الحرب عليَّ أم ماذا؟ ماذا حدث وما بكما؟ نعم لكل واحدة منا حياتها الخاصة ولا نعلم عن تفاصيل بعضنا سوى القليل، لكنّنا نقف بجوار بعضنا عندما يستدعي الأمر.

- نيرة ردت بسرعتها المعتادة: عمر يا وصال.

- تمالكت وصال نفسها وبثقة تامة: ما به عمر يا نيرة؟

- نيرة: هل ستصمتين على فعلته؟ لقد كنت أريد قتله.

- وصال بابتسامة: ابنته وكان قلقًا عليها.

- نيرة: لكنّ الأمر لم يكن هكذا، لقد أصبح الجميع يتحدث عما بينكما؟

- تغيرت ملامح وصال تمامًا وبحدة: من الذي يتحدث، وماذا يقولون؟

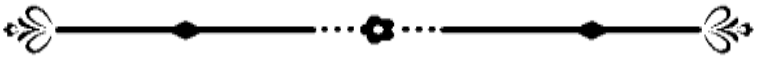

- هند: اهدئي يا وصال، أنتِ تعلمين الفتيات، لا يوجد لديهم سوى الحديث.

- نيرة: وصال لا تحزني أنا فقط أنبهكِ، من يراكِ في محاضرته وكيف تناقشينه وتقفين ضده، لا يراكِ عندما كنتِ تركضين ودموعكِ تغرق وجهكِ! ما الذي حدث لكل هذا؟

وقفت صامتة قليلا، حروب دامية دارت بقلبها وعقلها، ماذا فعلت ليكون جزاؤها كلامًا ليس له صلة بها؟ تجريحًا لاسمها، عمر، عمر، سبب تعبها، لو عليها لألقت حبه خارج قلبها، لكنه تغلغل منذ سنوات، جذوره امتدت وضربت أعماق أرضها البريئة، يجب أن يكون هناك حل، ولكن ليس الهرب.

- هند حركت يدها أمام عين وصال: ماذا بكِ؟

- وصال: سأعود للسكن، مع السلامة.

- هند: انتظري سآتي معكِ.

- وصال: من فضلكِ أريد أن البقاء وحدي.

تركتهما ورحلت.

- التفتت هند إلى نيرة بحدة: أيعجبكِ ما حدث؟ ثم أخبريني من هؤلاء الذين يتحدثون، لم أسمع شيئًا، لو لم أكن أعرفكِ جيدًا لقلت بأنكِ تغارين؟

- نيرة: ما الذي تقولينه، هل جننتِ؟

- انفعلت نيرة: أنا أغار من وصال، لمَ؟ ولأجل ماذا؟! أنتما أختاي.

- هند: أنتِ تعلمين مثلي بأنها تحب عمر، صحيح؟

- نيرة: نعم أعلم ولم أتحدث معها أبدًا، مثلما أعرف وأحس بأنكِ تحبين أخي سيف.

صدمة حلت على هند من كلمات نيرة، نظرت أرضًا، اقتربت نيرة من هند وضمتها:

- أنتما أختاي يا هند، واستحالة أن أغار منكما أو أتمنى لكما أي سوء، أنا فعلًا سمعت هناء تحكي لإحدى زميلاتها في المكتب، وكان يجب أن أنبه وصال.

ظلت هند صامتة، لتكمل نيرة بضحك وسعادتها المشاكسة: لكنني سأزوجكِ أخي سيف.

خجلت هند لتكمل نيرة: أين سأجد له فتاة أفضل منكِ، لو كان الأمر بيدي لزوجتكما اليوم قبل الغد.

- هند بحب: نيرة أنا أعتذر، هل يمكنكِ نسيان ما حدث؟

- نيرة: حسنًا سأنسى لكن انظري هناك.

رفعت هند بصرها لتجد سيف يقف أمام سيارته، ظلت تنظر إليه طويلًا، لكنه لم يبادلها النظرة، استأذنت نيرة منها قائلة: أنا سأذهب الآن يا هند، لكنّني سأترككِ لتفكري مع نفسكِ بأنها ليست غيرة أبدًا.

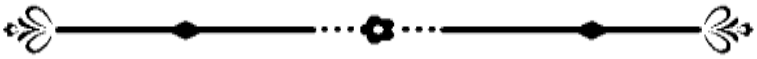

- هند: انتظري، هل يمكنكِ اعتبارها كلمة عتاب جاءت بلحظة غضب، فقط انسي ما قلت لأجلي.

- ابتسمت نيرة بحب: سأذهب مع سيف، انتظري أنتِ هنا وحدكِ، لن أطلب منكِ المجيء معنا، لأنني أعلم بأنكِ سترفضين، عندما تصلين طمئنيني عليكِ، وداعًا يا فتاة.

حفرت هند ملامح سيف بداخلها مثل كل مرة تراه فيها، إنّه الحبّ، العشق، نظرة، ابتسامه، موعد؛ لقاء.

لكن متى يكون اللقاء المنتظر للعشق والعاشق الذي يسهر ليله واضعًا يديه فوق قلبه، هند وحيدة تفكر في الحبّ الذي دق قلبها محببًا لها دقته إليها.

****

الفصل السادس

الحياء من شعب الإيمان

يوم آخر انتهى للفتيات في الكلية، اتفقت نيرة معهما؛ لدعوتهما إلى منزلها؛ لتناول الغذاء، وطلبت من سيف أن يقلهما بسيارته، في اليوم نفسه، اتفق جاسر مع عمر اللقاء بعد إنهاء محاضراته في الكلية، تعجب عمر لـصعود وصال سيارة صديقه برفقة صديقتها هند ونيرة، تبادل معها النظرات، أشاحت وصال بنظرها للناحية الأخرى.

انتبه إلى جاسر وهو يقول:

- هكذا نكون قد حددنا من الذي يرسل لك تلك الأوراق، المهم الآن أن تحذر وتحمي ابنتك!

لاحظ جاسر شرود عمر نظر إلى ما ينظر إليه، التفت إليه بتساؤل:

- هل تعلم بأن شقيقة سيف طالبة هنا؟!

ـ فعلًا، ما اسمها؟

ـ نيرة.

ـ عجيب، لم يخبرني أبدًا بأنّ له أخت ولم يأتِ بسيرتها أبدًا!

- جاسر وهو يسأل صديقه: تعرفها يا عمر؟

- عمر: نعم، إنّها هي التي كانت معه بالسيارة، ألم ترَها أو تقابلها من قبل؟!

- جاسر بهمهمة وصوت منخفض: الآن أعرف اسمها.

....

للمرة الثانية التي تراه فيها، تذكر من ذلك وسامته الطاغية التي أثرتها داخل قلبها، ربما يكون صديق أخيها سيف، لا تعلم...

لا تملك القوة الكافية لسؤال سيف عن هويته، ربما يشاء القدر ويلتقيان ثالثًا كما حدث قبل قليل.

عادت من ذكرياتها، لتقول نيرة: عذرًا يا سيف أتعبتك معي، لكنّ الفتاتين لم تكونا لتقبلا المجيء إلا إذا وضعتهما تحت الأمر الواقع.

ـ لا تهتمي يا نيرة، مرحبًا بهما بأي وقت.

ورفع عينيه إلى مرآة السيارة الأمامية، ليقول:

- مرحبًا بكما، كم تسرنا زيارتكما.

لكنّه لاحظ الفتاة بالحجاب الأبيض تغمض عينيها إلى الأسفل، ثمّ رأى وجنتيها شديدتيّ الحمرة، تغض بصرها بشدة والأخرى تجلس في عالم آخر.

ابتسم لخجل الفتاة، حمرة خديها، أثارت فضوله، أول مرة يرى فتاة هكذا، قرر أن يبدأ بالكلام ليرفع الحرج عنهما، فقال:

- أنتما بصراحة ستريحاننا اليوم من نيرة وشقاوتها.

- لترد نيرة سريعًا: أهكذا يا سيف، وهل أزعجكم حقًا؟!

- لتقول وصال: توقفي عما تفعلينه، نحن نحفظكِ عن ظهر قلب، لا نحتاج كلام أخيكِ لنعرفكِ.

لكن هند صامتة، نظر إليها سيف محاولًا استكشاف عينيها، لكنّها تغمضها بشدة، دقات قلبها تسبقها تتمتم مع نفسها بأنهم يسمعون نبض قلبها السريع، يزيد ذلك من خجلها، نظرت إليها نيرة، وقالت:

- أين ذهبتِ يا هند، لم نسمع صوتكِ؟!

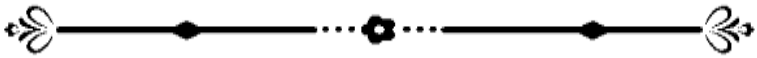

لكنها في وادٍ آخر، لم تنتبه لكلمات نيرة، أيقظتها وصال وهي تقول:

- هند، نيرة تتحدث معكِ، أين أنتِ يابْنتي؟!

- هند: أنا هنا!

ولاحت منها نظرة إلى المرآة الأمامية لتجد سيف ينظر إليها، طالت نظراتهما، حتى خجلت وأخفضت بصرها.

أخيرًا انتهى الطريق، ولكن، كان لخجل هند تأثير على سيف.

هبط من السيارة، وقف يتطلع إليها، ولكن سريعًا أتت وصال الجريئة لتسأله:

- سيف إذا سمحت، هل تعرف دكتور عمر؟

- سيف: نعم أعرفه، هل حدث شيء؟!

- وصال: لا شيء، فقط كنت أسأل!

تعجب من سؤال وصال المباغت، ولكنه نفضه عن ذهنه، ونظر إليهما، صعدت الفتيات وتركن سيف على وضعه ينظر في أثر الفتاة الخجول.

رحل إلى عمله ثانية، ولكن عندما انتهى الغداء عاد مرة أخرى، رافقت نيرة أخاها سيف ليتمكن من إيصال البنتين إلى شقتيهما، وانتهى اليوم بدقات قلبٍ وقسمات وجهٍ خجولة وابتسامات بين سيف وهند.

....

جلست كل منهن تفكر في أحداث اليوم بنفسٍ حالمة متطلعة إلى المستقبل.

عاد عمر إلى منزله، هرولت إليه أسيل سريعًا، احتضنها بحب، حملها وقبلها في خدها، سألته أسيل عن وصال إن كان رآها أم لا.

أجابها بنعم، ولكن ما زالت يشوب وجهها بعض الحزن، أسيل: أبي، أريد رؤية وصال، لقد اشتقت إليها كثيرًا، أرجوك يا أبي.

أتت سعاد لتراهما ولكنه قال: حسنًا، سأحاول المرة القادمة أن آخذكِ لرؤيتها.

هللت الطفلة بهد كلام والدها، رددت سعاد: أنا أيضًا أريد رؤيتها.

نظر لها عمر طويلا ثمّ قال: بالطبع، سأخبرها بأن تأتي لزيارتنا لأن أمي تريد رؤيتكِ!

ـ هل تمزح يا عمر؟

ـ حسنًا، أخبريني بماذا أرد عليكِ؟!

ـ لا شيء، أنا سأتدبر الأمر.

ـ أمي، لماذا مريم لم تعد تزورنا؟! كيف حالها، أحاول الاتصال بها منذ فترة لكنها لا ترد، وأيضًا محمود زوجها لا يترد على اتصالاتي!

ـ فعلا، لم أرَها منذ أسبوع، لقد أصابني القلق عليها، آخر مرة كانت هنا حدثت مشادة بيننا.

ـ لماذا يا أمي؟ ماذا حدث؟ أهي بخير؟ هل تشاجرت مع زوجها؟

ـ لا تقلق، هي بخير فقط مجرد حديث.

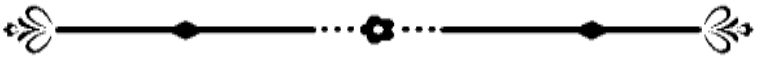

ـ حسنًا، ما رأيك أن نذهب لهم اليوم؟

ـ لا مشكلة، لنذهب مساءً.

ـ أبي، أنا سأذهب معكما بالطبع لأرى يوسف وعمتي.

- لكنّها قالت بغير قصد: لكنّها لا تحبني.

لكن فورًا تذكرت كلمات وصال، لتقول: أعتذر أبي.

نظر عمر إلى أمه، التي أخفضت بصرها، ولكنّه ابتسم بحب:

- بالطبع يا صغيرتي ستأتين معنا، وستلعبين مع يوسف.

- قالت سعاد: لقد جاءك هذا الظرف اليوم.

التقط الظرف، وفتحه ودقّق به طويلًا، وجد صورًا لأخته وأمه وابنته.

نظر إليهنَّ طويلًا دبّ الخوف والقلق بقلبه، استأذن والدته، دخل إلى غرفته أخرج هاتفه من جيبه، وفورًا اتصل بـجاسر.

ـ جاسر استمع لي.

ـ نعم يا عمر، ماذا حدث؟

ـ لقد عدت اليوم إلى المنزل لأجد طردًا قد تُرِك لي، بداخله صورٌ لأمي وأختي وابنتي!

ـ لقد بدؤوا اللعب الآن، هل تخاف يا عمر؟

ـ لو كنت أخاف لكنت فعلتها منذ زمن، لا تنسَ بأنّ هذا عملنا، وكشف الحقيقة واجبك يا حضرة الضابط وواجبي أيضًا!

ـ لكن هناك أناس سيذهبون ضحية، وأهلنا هم تلك الضحية، لا تنسَ مازن وأخته وأخاه، كانت أول الضحايا وليس آخرها.

ـ أشعر بالذنب نحوه، مازن كان مثل أخي الصغير!

ـ عمر، لتنسَ هذا الأمر، مازن لا يحمّل أحدًا سوى هذا الذنب، حتى لو لم ينطق به، لكنّي أراه في عينيه وبكل أفعاله معي!

....

في منزل مريم

أصبحت علاقتها بزوجها على المحك، لا يتكلم معها إلا بحدود لوجود ابنهما.

يجلس بغرفة السفرة وتضع مريم الطعام عليها، ولكنها تجده شاردًا.

نظرت إليه بحبّ وعتاب، هي تحبه من صغرها، ولكنّها تلقي اللوم على نفسها لعدم مصارحته من أول يوم، قررت بدء الحديث؛ فهو حبيبها وزوجها؛ وهي المخطئة.

ـ محمود أنت ستظل لا تتحدث معي كثيرًا!

ـ مريم، لقد انتهى الحديث، أنا هنا لأجل ابني.

ـ محمود، أنا آسفة.

ـ مريم، الاعتذار كان منذ زمن، قبل أن تظلميني وتظني بي ظن السوء، أنتِ تعرفين كم أحبكِ؟ ليس هذا فقط أنتِ أم ابني؟! لكنكِ فضلتِ أن تظلي على ظنكِ السيّئ بدلًا من المواجهة؟

ـ أنا آسفة لم أكن أقصد.

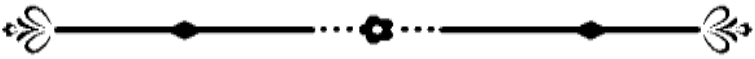

وبكت بشدة وأكملت: والله لم أكن أقصد! ضع نفسك بدلًا مني، عندما رأيتُ الاسم على تلك الأوراق، لم أستطع التفكير سوى فيها!

- طرق محمود بعنف على السفرة ليقول: وكيف هداكِ عقلكِ لهذا؟!

واقترب منها وارتفع صوته: كيف؟ كيف تظنين أنه من الممكن أن يكون لي علاقة بزوجة أخيكِ؟! أو حتى إذا كان الأمر مجرد مصادفة، أنا أحبكِ يا مريم ولو كان لي علاقة سابقة، فهذا كان قبل أن أراكِ أو أعرفكِ، ويكون بعلمكِ، نهلة تلك كانت زميلتي بالكلية، لكن لم نُوفق ونتزوج، ثم بعد ذلك رأيتكِ وأحببتكِ وتزوجنا، لقد تعجبتُ تصرفاتكِ ومعاملتكِ لي بالفترة الماضية؛ لكني كنتُ أُكذب نفسي، كنتُ أقول ضغط شغل، المنزل، الولد، وموت زوجة أخيكِ، لكن لم أتصور أنّ الموضوع ليس بهذه السهولة، وأكبر من كل تخيلاتي!

ـ آسفة، لقد أحببتكَ لدرجة لا تُوصف، لكن صدقني غيرتي عليك هي من فعلت بي كل ذلك!

رق لدموعها فهي زوجته وحبيبته، تحدث بحب:

- هل يمكننا نسيان ما حدث حتى نستطيع العيش براحة؟!

ابتسمت وهرولت إلى أحضانه، كم تمنته كثيرًا بهذا الحب، زاد من ضمته إليها: اشتقتكِ.

دقات الباب جعلتهما ينظران إليه، ليتحدث إليها: انتظريني يا مريم، سأرى من الطارق.

لكن سبقهما يوسف إلى الباب وهلل عند رؤيته لأسيل الصغيرة هي وعمر وجدته، انتبهت إليهم مريم وصلت إلى الباب ترحب بهم طويلا، ولكن هذه المرة على غير عادتها رحبت بعمر بحب، احتضنته طويلا وكأنه غائب منذ زمن، تعجب لأمرها كثيرًا، التقطت الصغيرة بين ذراعيها بحبٍ خالص لأول مرة منذ وفاة والدتها، تعجبت سعاد لأمرها، والأكثر تعجبها لشكل مريم الباكي، ثوانٍ وتحدث محمود: أهلا بكم، لقد أنرتمونا، كيف حالكِ يا خالتي، وأنتِ يا أسيل لقد اشتقتكِ كثيرًا يا فتاة!

- يوسف الصغير: تعالي معي يا أسيل لنلعب.

- أسيل: هل أذهب يا أبي؟

- عمر: اذهبي يا وصال أبيكِ.

ابتسمت سعاد وأسيل للكلمة ولم تعلقا، دخل الجميع وجلسوا بحبٍ منذ وقت طويل لم يظهر هكذا، ولكن ما زال القلق يجوب بقلب عمر لتجمع أسرته حوله، والتفكير بوصال يزيده قلقًا أكثر مما سبق، ربما أسيل من فعلت هذا.

الخوف من المستقبل القادم!

....

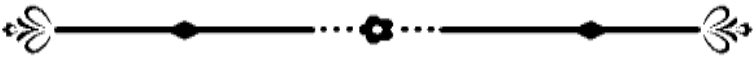

بشقة وصال وهند

جلست وصال على فراشها تغمض عينيها، تتذكر نداء عمر لها، نداء القلوب، وأسيل تلك الطفلة البريئة التي خطفت قلبها، قررت مهاتفتها في الغد.

جاءت نيرة وقررت رؤيتها، وصلت إليها هند ونادت:

- وصال أنتِ معي، تسمعينني؟

ـ نعم يا هند، هل حدث شيء؟!

ـ هل يمكنني أن أخبركِ أمرًا ما؟

ـ بالطبع، أخبريني ما شئتِ.

- بخجل شديد تحدثت هند: بالنسبة لحديث نيرة اليوم عن سيف...

- وصال مقاطعةً إياها: أنا لا أريد منكِ أي توضيح، إذا كنتِ تريدين لرغبتكِ في الحديث؛ فأنا سأستمع، لكنني لا أريد منكِ أي تبرير!

ـ صدقيني أنا... أنا لا أعرف ماهية شعوري نحوه منذ المرة الأولى التي رأيته بها، عندما كان يُوصل نيرة، شعرتُ كأنّ هناك شيئًا خفيًا داخلي ينجذب إليه، وأيضًا حديث نيرة عنه ومعاملته لها بالرفق كل ذلك يجعلني أفكر فيه رُغمًا عني!

- لتتمتم وصال داخليًا: كلنا نفعل ذلك رُغمًا عنا.

ثمّ قالت بصوت مسموع: عزيزتي، مشاعرنا لا نستطيع التحكم بها، حتى أفكارنا التي تقودنا دومًا نحو مجهول لم نتخيل يومًا بأن نصل إليه، كل تلك

أشياء تحدث رغمًا عنا... عمومًا لم يعد سوى فترة قصيرة قبل أن تنتهي الاختبارات؛ لنبدأ بالعمل وبناء أنفسنا.

ـ لا شيء بعيد على الله.

ـ أعلم يا هند، أمي دائمًا تخبرني بأن أصلي وأخبر الله بكل ما أتمناه، وقتها سأرتاح.

نسيت أن أخبركِ بأنّ أبي وأمي قريبًا سيأتيان للعيش هنا، أبي قرر الخروج على المعاش والإقامة هنا.

ـ يأتيان بالسلامة يا عزيزتي، بالطبع أنتِ فرحة الآن لأجل ذلك!

ـ جدًا، وليكن بعلمكِ ستأتين للعيش معنا عندما نبدأ العمل.

ـ بمجرد أن نتخرج بإذن الله سنقدم في المسابقة التي تقيمها جريدة الحياة.

ـ بإذن الله يكون لنا نصيب بالفوز بها.

ـ أنتِ تعلمين بأنّ عمر رئيس قسم التحقيقات بتلك الجريدة.

- نظرت إليها وصال بوجه شبه غاضب: نعم أعلم، ولكن ليست أنا من سأنسى نفسي بمجرد أن يجمعني مكانٌ ما به، بإذن الله نقدم بها جميعًا ويكون لنا نصيب بها معًا.

ـ وصال، لا تغضبي مني، تصبحين على خير.

ـ لم أغضب، وأنتِ من أهل الخير يا عزيزتي.

قررت وصال مهاتفة والدة عمر مدام سعاد للسؤال عن حالة أسيل والاطمئنان عليها، قبل الذهاب إلى محاضراتها.

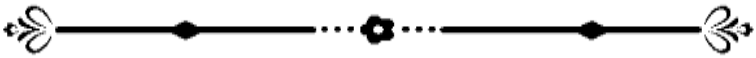

سعدت كل من سعاد وأسيل بالمكالمة، واتفقتا على اللقاء بأحد النوادي القريبة من سكن وصال ولكن دون علم عمر.

وصلت سعاد وأسيل باكرًا، لتلحق بهما وصال، بعد فترة.

- قالت وصال بابتسامة: السلام عليكم.

- بسعادة ردت أسيل: وصال، لقد اشتقت إليكِ كثيرًا!

تأملتهما سعاد طويلًا، انتبهت وصال لوجودها؛ فاعتذرت منها:

- أنا آسفة، لقد اشتقت لأسيل كثيرًا وكنت أريد الاطمئنان عليها.

- قالت سعاد بسعادة: وهي أيضًا قد اشتاقت إليكِ.

تبادلتا الحديث لفترة طويلة في التعارف، لعبت وصال مع أسيل أيضًا، تحت أنظار سعاد ودعواتها، انتهى لقاؤهم على وعد بزيارة وصال إلى منزلهم، وأيضًا بشرط عدم وجود عمر، وكان هذا اليوم هو يوم المحاضرة القادمة لها، قررت عدم الذهاب إليها والذهاب إلى منزله لقضاء يومٍ مع والدته وابنته حتى تضمن عدم وجوده.

****

الفصل السابع

لقاء الارتواء

بعض النظرات البريئة التي ربما تكون شرعًا غير جائزة ولكن، ما الحل؟!

ذهب عمر إلى المدرج لإلقاء المحاضرة الأخيرة قبل امتحانات نهاية الفصل، وقف على المنصة وجال بعينيه المدرج كاملا، ولكنّه لم يجد وصال ولا أيًا من صديقاتها، زارته مشاعر الخوف والقلق عليها لعدم حضور الثلاث فتيات، ماذا يفعل لكي يطمئن عليها، يهاتفها؟!

انتهى من المحاضرة على عجل استأذن الخروج، بعد مدة وصل إلى بيته فاتحًا باب الشقة، سمع ضحكات ابنته وضحكة أسرت قلبه، حاول التلصص لسماعها جيدًا تمتم عمر بذهول: وصال هنا؟! وصال، وصال! لا يمكن أن تكون وصال هنا!

تحرك ببطءٍ شديد على أطراف قدميه يتحسس وجودها، صم أذنيه عن كل شيءٍ سوى اسمها، سمع ضحكات قادمة من المطبخ، توجه إليه فورًا، وقبل أن يدخل وجد ابنته تخرج ولكنها لم ترَه، حاول الاختفاء قدر المستطاع، وصل إلى المطبخ وجدها تقف أمام الموقد تقوم بإعداد الطعام.

رفرف قلبه، وابتسم بحب لرؤيتها في بيته، تذكر أحلامه ليلًا بها، جال بعقله ماذا لو كانت زوجته؟!

ماذا سيفعل في هذه اللحظة؟

دخل وهي تقف دون أن تشعر به، تخيل نفسه وهو يحتضنها من الخلف، يداعب رقبتها، يقبلها، يدفن وجهه بعنقها، وهي تتمايل أمامه، مثل فعلتها الآن!

آهٍ وألف آه على وجعك يا قلبي! تمنى كثيرًا وكثيرًا لرؤيتها في هذا الوضع الماثل أمامه في لحظة لم يخطط لها.

شغف كامل بها، رُفِع بهِ إلى أعلى السماء، ولكنّه يجب أن يهبط بأحلامه أرضًا في الوقت نفسه، ماذا يفيد التمني إذا كان به شبهة حرام؟

قرر إلقاء السلام لتنتبه لوجوده مرغمًا لجذب انتباهها، ألقى عليها سلامًا خارجًا بدقات القلب: السلام عليكم ورحمة الله.

فزعت وصال لصوته فألقت ما بيدها سريعًا، أدارت نفسها ببطء حتى تتأكد من وجوده، وجدته يقف عاقدًا ذراعيه، ينظر لها بابتسامة، رؤيتها دون حجاب خصلتها البيضاء؛ ذكرته برؤيتها أول مرة.

خجلت من نفسها كثيرًا، احمرّت وجنتاها، رفعت يديها لتلامس خديها تذكرت فورًا أنها لا ترتدي حجابًا.

جذبت حجابها سريعًا من على الطاولة، لفته بإهمال على رأسها وهي تحاول التحكم في أعصابها لتتحدث بنهج: أنا، أنا...

تحرك قليلًا إليها وقف أمامها، ليرفع عنها حرج الموقف، ويعتذر عن دخوله المفاجئ ولو كان أفضل ما فعله بحياته هذه اللحظة؛ لكنه داخليًا يريد رؤيتها عن قرب.

عمر بهمس وكأنه يتحدث في أذنها: أعتذر إذا كنت قد أخفتكِ.

وصال بتردد وتيه بالكلام: بل أنا التي يجب عليَّ الاعتذار لأنني هنا، لكني قد اشتقت لأسيل، و...

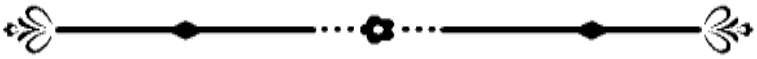

زاد اقترابه وبهمسٍ: لماذا لم تأتي محاضرة اليوم؟ ولماذا أنتِ هنا بهذا اليوم بالأخص يوم محاضرتي؟!

وأكمل وهو يحاصرها بهمس الحروف: هل تعلمين كم قلقتُ عليكِ؟

نظرت إليه ليزداد خجلها وندمها لحضورها إلى منزله، لقد اتخذت الكثير من الاحتياطات ولكنها لا تفيد، بات هذا الموقف هو الحاضر.

سمعته يقول: تخيلت الكثير من السناريوهات لعدم حضوركِ اليوم؛ لكن لم يكن من ضمنها وجودكِ هنا، بمنزلي! وهذا من حسن حظي، وحظ ابنتي!

ومد يده ورفع ذقنها لتنظر إليه: أتعلمين كم أنتظر هذه المحاضرة لرؤيتكِ؟

اهتزت وصال وحاولت إخراج صوتها: إذا سمحت، يجب أن أرحل.

انتفض عمر مما سمعته أذنه: ترحلين! هل أخبركِ مقدار فرحتي لوجودكِ هنا اليوم، بتلك السهولة تريدين الرحيل؟!

وهز رأسه بالرفض.

ـ من فضلك، اتركني لأرحل، هذا لا يصح!

- عمر متابعًا حديثه: أتعلمين؟ عندما دخلت وسمعتُ صوتكِ تمنيتُ أن تكوني حقيقة، وتمنيتُ المزيد والمزيد عندما رأيتكِ هنا، أتعلمين أنتِ ماذا فعل بي وجودكِ؟!

وصال هزت رأسها بالرفض: كل ما أعلمه أنني يجب أن أرحل، وجودي هنا خطأ، من فضلك اتركني لأرحل.

عقله وقلبه يرفض ولكن الواقع يقول بأن هذا هو الصواب، تعلق ذراعه وقبضته على يدها: سترحلين، وسأوصلكِ بنفسي لأطمئن عليكِ.

طبول الحرب أعلنت عن نفسها بدلا من قلب وصال، زادت حمرة وجهها لقربه، كلماته، وشعورها بحديث قلبه.

تحدث عمر بنبرة صادقة ربما بها بعض الرجاء: لكن من فضلكِ ابقي قليلًا، تعلمين بأن أسيل تحبكِ، لأجلي!

- وصال بصدقٍ تام: أنا أيضًا أحبها، لكن وجودي هنا خطأ، والدتك...

ـ وصال، أنا أريد الحديث معكِ كثيرًا، هنالك الكثير من الأشياء بداخلي يجب أن تعرفيها.

- وصال وهي تقبض شفتيها: دكتور عمر...

رفع يده ليجعلها تكف عن الكلام وتصمت، أخذ حبوب الجرأة للحديث، وهي تريده أن يصمت؛ كلا!

ـ وصال، أعلم بأنكِ غاضبة مما فعلتهُ بكِ بالمرة الأخيرة، لكني أريد فقط أن نجلس سويًا لمرة واحدة، فقط استمعي لي وقرري بعدها.

- وصال برجاء: هل يمكنك أن تتركني أرحل الآن، إذا جاءت والدتك ماذا ستظن بي، لقد طلبت المجيء في عدم وجودك؛ والآن أنت هنا وأنا هنا، ماذا ستقول؟

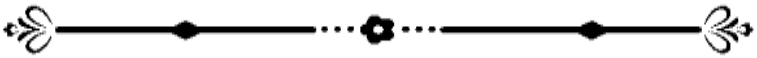

- عمر بصدقٍ من العين والقلب معًا: أمي تتمنى وجودكِ هنا قبلي، وصال، أنا، أنا...

كانت سعاد تراقبهما من الخارج؛ لكنها قررت الدخول فجأة، أتت سعاد لتقول بشبه غضب مصطنع:

- ما الذي أتى بك الآن، أليس من المفترض بأن لديك محاضرة؟!

ولكنّ عينيه مسلطتان إلى وصال، أحست بالحرج الشديد لهذا الموقف واستأذنت للرحيل:

- خالتي من فضلكِ سأرحل.

- قالت سعاد بإصرار: هذا لا يمكن أن يحدث، سنتناول الغداء سويًا كما اتفقنا.

- ورد عمر: هل لأنني جئت سترحلين، أكما يقولون 'إذا جاءت الشياطين' سأرحل إذا كان وجودي لا يُريحكِ.

- نظرت له بخجل، لتقول سعاد: لم ترد عليَّ ما الذي أتى بك الآن؟

ـ أنهيت المحاضرة وجئت، وهناك أناس كان لديهم محاضرة اليوم لكنهم لم يأتوا وهي المحاضرة الأخيرة.

نظره مثبت على وصال كل هذا ولا رد منها، قررت أخيرًا الرحيل ولكنه لم يتركها، وسعاد أيضًا، إحساس السعادة والفرح من سعاد تجاه ابنها لأول مرة تراه سعيدًا هكذا، أسيل تشعر بالسعادة أيضًا وهي تجلس بجانبها بكل حب.

وصال يكسوها الخجل وقد احمر وجهها لرؤيته هكذا، ينظر لها بعين تفضحه، لم يخجل من نظرات والدته وابنته، كل ما يفكر به هو وجودها معه، ارتواء قلبه وعينيه منها.

انتهى الغداء، قرر عمر إيصالها إلى سكنها، ولكنّها اعتذرت كثيرًا ولم يجدِ الاعتذار شيئًا نافعًا، فقد اصرت سعاد أيضًا لتأخر الوقت.

قررت وصال مهاتفة والدتها وإخبارها أولًا، مما أعجب عمر ووالدته.

....

في منزل سيف.

يجلس مع نيرة ووالدته يتبادلون الحديث، تذكر ذات الحجاب الأبيض المخمر بالحمرة، انتفض قلبه من مكانه، فقرر سؤال نيرة عنها:

- ما اسم صديقتكِ تلك التي كانت ترتدي الحجاب الأبيض؟

- نيرة بابتسامة: هند، لماذا تسأل يا سيف، هل حدث شيء؟!

ـ لا شيء، فقط مجرد سؤال.

- نيرة بمكر وهي تنظر إلى والدتها: لماذا هي التي سألت عنها؟

فهم سيف نظرتها جيدًا فهي واضحة، وتحرك من مكانه وضربها على جبهتها بيده:

- لأنني سمعتكِ تنادين على الأخرى باسم وصال.

- والدته بسعادة: الصراحة الفتيات غاية في الأدب والأخلاق، وهند بالأخص هادئة وطيبة جدًا.

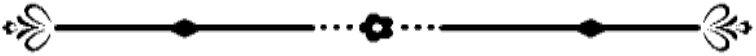

- ابتسم سيف: ها، وماذا أيضًا يا أمي؟

ـ لا شيء يا بني، لقد كنت أقول شهادة حق.

- قالت نيرة: حقًا يا سيف، هي أطيب فتاة قد تقابلها بحياتك كلها، لكن الفتاة لديها أهل قساة لا يحبون الفتيات ويرون بأنهن يجلبن العار! ويعاملونها بشكلٍ سيّئ للغاية.

دق قلبه وتمنى أن يسمع كثيرًا عنها، جعل نظره مثبتًا كليًا على نيرة لتلاحظ تركيزه التام، فابتسمت وهي تكمل حديثها: أتعلم بأنها لا تذهب لأهلها كثيرًا، تخاف من معاملتهما لها، تخشى أن تعود حزينة من عندهم، لذلك لا تسافر لهم كثيرًا.

معظم الإجازات تقضيها هنا، لقد حاولت كثيرًا معها لتأتي لعلّها تفرج عن همومها قليلا؛ لكنها لم تكن توافق، أشفق عليها كثيرًا رغم أنها فتاة جميلة للغاية، هي بالفعل تشعر بالحرج لمجيئها هنا، ولا تحب بأن تكون حملًا زائدًا على أحد، حتى نحن رغم أننا أصدقاؤها وليس لها سوانا.

شعر بالحزن من أجلها، لا يعلم لماذا، ولكنه قرر أن يفتح لنفسه المجال للتحدث معها، ربما يكون هناك فرصة جديدة تجعلها سعيدة.

جذبه خجلها لذلك يجب أن يسير وراء قلبه، ربما هذه المرة هنالك شعورٌ حقيقيّ، نيرة بلوم في كلامها: سيف، أين ذهبت؟

- أجابها مبتسمًا ليرضي فضولها ويزيده في آنٍ واحد: معكِ، أخبريني متى سيكون لديكِ محاضرات مجددًا.

- نيرة بحزنٍ واضحٍ: لقد انتهينا، الامتحانات ستكون قريبًا، تبقّى شهر واحد، وأخيرًا سأتخرج!

- ورفعت يديها عاليًا ولفت حول نفسها: وسأكون الأستاذة نيرة الضوء...

وابتسمت: لكن بالطبع سترى اسمي ذات يوم تحت تحقيق صفحي كبير.

- قالت والدتها: لا تأخذكِ العزة بالإثم، أنتِ لازلتِ معنا هنا.

- ضحك سيف ووضع ذراعه فوق رأسها: هكذا يا أمي، أخت حضرة الضابط سيف الضوء، ستكون بإذن الله أكبر صحفية.

- فهمست نيرة داخل أذنه: وممكن أن تكون زوجته كذلك.

- ابتسم لأخته قائلًا: هكذا أنتِ، لا شيء يمر أمامكِ دون أن تفهميه، هيا اذهبي لترين ما الذي عليكِ فعله.

لكنّه داخليًا قرر أن يقتحم حصون هند، ربما يمكنه محو حزنها الذي يملأ قلبها ويكون هو الابتسامة الصادقة.

****

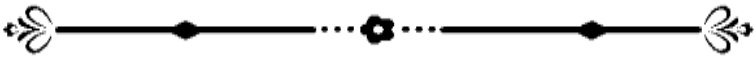

الفصل الثامن

قرب

جلست هند وحيدة بالسكن تتذكر سيف وأسرته السعيدة، حلمت يومًا أن تملك أسرة مثلها، ولكن لم يحالفها الحظ بأسرتها، قررت أن تتخرج وتبني لنفسها حياة سعيدة ربما يمكنها الفرح يومًا.

قررت الخروج إلى الشارع قليلا؛ ربما ترفه عن نفسها وتقوم بشراء بعض المستلزمات، ارتدت ملابسها وأحكمت حجابها ذا اللون الأبيض، وجهها الدائري، وحمرة وجنتيها جعلتها بدرًا كاملا، قررت أن تترجل؛ ولكن بعض فترة من المشي لاحظت اقتراب بعض الشباب منها يحاولون مضايقتها.

هرولت قليلا، لكنّهم يزيدون من اقترابهم منها، دبّ الخوف والقلق بقلبها، ولكنّها حاولت التحلي بالشجاعة الزائفة، وقف أمامها أحدهم: لماذا الجميل يمشي وحده؟

- هند بقوة: من فضلك اتركني، هذا لا يصح.

شد وجذب بينها وبين الشباب، دعت الله من قلبها أن يرسل لها النجدة، لتخرجها من هذا الموقف، ندمت على النزول متأخرًا، حاول أحدهم مد يده ليقبض على يدها. حاولت التخلص من يده؛ صرخت بقوة.

يمر بسيارته، وجد فتاة تصرخ، صرختها أدمت قلبه، لا يعلم لماذا؟

فورًا ضغط على مكابح سيارته، وهبط سريعًا منها.

هبطت دموع هند ألمًا من قبضة الفتى على يدها، مع محاولتها المستميتة لتحرير نفسها.

إذا بها تجد من يخلص يدها، ويقف أمامهم مشهرًا سلاحًا نحو الشباب، ليفروا سريعًا، عندما أطلق الفتى سراح يدها، وضعت يدها الأخرى فوقها، وبكت بقوة.

عندما وصل سيف إلى الفتاة فوجدها هند، ودَّ لو يطلق عليهم رصاصاته للانتقام منهم.

تأكد من رحيلهم، أدار نفسه لها، وجدها تبكي، قبض على يده بشدة، تحدث بغضب: أخبريني ما الذي جعلكِ تنزلين وحدكِ في هذا الوقت؟

سمعت صوته، رفعت عينيها للتأكد من وجوده، أهذا صوته.

ـ تحدثي، لماذا تصمتين؟!

زاد صمتها حزنًا وألمًا لرؤية سيف لها في هذا الموقف، وازداد بكاؤها الصامت، رق قلبه ليقول: هند، هل أنتِ بخير؟

نبرة صوته الحانية، جعلت دقات قلبها في تزايد، حاولت السيطرة على نفسها وهزت رأسها، لملمت نفسها، وخرج صوتها برقة بالغة: أعتذر لحضرتك، بعد أذنك.

- سيف بحدة: انتظري، أين ستذهبين؟

- هند: سأعود إلى المنزل.

- نظر لها بغضب: أمن المفترض بعدما حدث أن تذهبي وحدكِ مجددًا؟!

وأكمل بحدة وغضب: لحظة واحدة تكونين جالسة داخل السيارة.

قوة نبرة صوته، رجت هند من داخلها، وفورًا تحركت من مكانها، سريعًا إلى المقعد الأمامي، ابتسم سيف على حركتها المباغتة، وصل إليها، استقل مقعد القيادة وبصوت أمر: اربطي حزامكِ.

دون مجادلة أو نظر إليه، ربطت حزامها، وعقدت ذراعيها، نظر لها واطمأن قلبه، أدار السيارة بحرفية، وصل إلى وجهته، قبل سكنها بشارعين، أوقف محرك السيارة، نظرت حولها ثم إليه، تحدث بنبرة هادئة: لا يمكنني أن أوقف السيارة هناك وأنتِ معي وحدكِ.

فور سماع كلماته، فكت حزامها، وحاولت الهبوط من السيارة، سمعته يقول: هند، أنا آسف.

توقفت للحظات ليكمل: لم أكن أقصد الإساءة إليكِ، لقد انتابني الخوف عليكِ.

هزت رأسها دون كلام؛ فأكمل: هند، سأجعل نيرة تتصل بكِ عند عودتي للمنزل لأطمئن عليكِ.

هزت رأسها، ولكن قلبها بوادٍ آخر، كلما حاولت الهبوط، يسعى لإلقاء كلمات تجعلها تستقر مكانها، فرحة قلبه لوجودها، لا يريدها أن تغادر، لكنها حتمًا ستتركه، على غير هدى منه، ولكن نطق قلبه: هند، هل تتزوجينني؟

هرولت خارج السيارة، انتبه لكلماته، زفر بغضب من نفسه، هل يمكن طلبه للزواج منها في هذا الموقف، وفي الطريق العام؟

طرق عدة مرات على عجلة القيادة، لينتبه على هاتفه.

ـ نعم يا جاسر، ماذا حدث؟

ـ تعال الآن أريدك، قابلني في...

ـ تعال أنت إلى منزلي.

أغلق الهاتف دون عبارات أخرى، ألقى نظرة أخيرة على المكان ورحل بصمت.

....

هبطت وصال بصحبة عمر، وقفت أمام السيارة، سريعًا تحرك عمر وفتح لها الباب، ابتسمت بخجل، تود الهروب ولكن لا مفر، جلست بهدوء، وأغلق الباب، سريعًا لف وجلس بمقعد القيادة، تحرك لمسافة قليلة.

يجلس كلٌ منهما له مكنون داخلي، لا يمكن البوح به.

ـ هل تفضلين سماع شيء محدد؟

- نطقت سريعًا: سيرة الحب.

خجلت من ردها، ليقول: أحلى حب في الدنيا، حب الوصال.

ومال قليلًا إليها، هامسًا: تذكرين وصال أبيها، أما أنتِ وصال عمر.

ثوانٍ وصدح صوت أم كلثوم.

"طول عمري بخاف... مـ الحب وسيرة الحب... وظلم الحب لكل أصحابه"

ذابت القلوب على نغمات، يتطلع إليها تارة وإلى الطريق تارة، خجلها يكسو وجهها، همس بحب: أنا أحبكِ يا وصال، هل تتزوجينني؟!

شخصت ببصرها نحوه، مشاعر متضاربة داخلها، يجب أن تغلف نفسها بقشرتها الوهمية، ردت بقوة: دكتور عمر، هل من الأصول أن يطلب أحدهم الزواج في السيارة؟ لا أظن بأنّ هذا هو الوقت أو المكان المناسب.

- نظرة إحباط بدت على وجه عمر: أتعنين بهذا عدم موافقتكِ؟

- قالت سريعًا: لم أقل هذا، لكن هل تعتقد أنّ هذا الأمر يمكن النقاش به الآن؟

- عمر بنبرة عشق خالصة: وصال طمئنيني، أريد أن أرتاح.

لكنه لاحظ في مرآة سيارته الأمامية، سيارة تتبعه، كف عن الحديث، لتتابع هي:

- دكتور عمر، أنا أحتاج الفرصة ليس للتفكير، وإنما لكي آخذ رأي أهلي.

نوع من الارتياح ظهر على وجهه لكلامها، ولكن وجود السيارة ما زال الخوف يأكل قلبه، دائرة محبيه تزيد، ما العمل؟

تنهد بعمق، إلى أن وصل مقتربًا من سكنها، هبطت دون كلمة، اطمأن قلبه ولو قليلًا، ورحل مع قرار لقاء سيف وجاسر، الخطر يزداد حول أهله.

....

وصل سيف إلى منزله وجد نيرة أمامه، تحدث لها قائلًا: نيرة من فضلكِ، اتصلي بهند واطمئني عليها، وطمئنيني.

عقدت نيرة حاجبها باستفهام: لماذا، ما الذي حدث؟ وأين رأيت هند؟

ـ ما بكِ يا نيرة، هل ستحققين معي؟ فقط اتصلي بها واطمئني عليها أولًا.

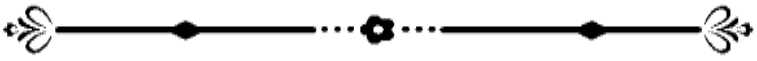

- نيرة سريعًا: حسنًا، لكنك أقلقتني كثيرًا.

- تنهد سيف بعمق قائلا: من فضلكِ الآن.

- نـيرة: حسنًا يا سيف، فقط سأحضر هاتفي.

ثوانٍ قليلة مرت، وردت.

- هند، أنتِ بخير، سيف يريد الاطمئنان عليكِ.

زادت دقات قلب هند بشدة ولم تستطع الرد.

ـ هند، ردي عليّ وطمئنيني عليكِ، ما الذي حدث؟ وأين قابلتِ سيف؟

- قالت بإرهاق: نيرة، أيمكننا أن نتحدث بالغد وسأخبركِ بكل شيء، لكن الآن أرجوكِ اتركيني وطمئني سيف بأنني بخير.

ـ حسنًا، هل وصال عندكِ أم لا؟

ـ لا، لم تأتِ بعد.

ـ حسنًا، تصبحين على خير.

أغلقت الهاتف ونظرت إلى سيف، أغمض عينيه بارتياح والاطمئنان يبدو عليه.

ـ أيمكنك أن تطمئني؟

لم يجب فقالت: سيف من فضلك احكِ لي ما حدث.

سرد ما حدث، ولكنه تغاضى عن جزء محاولة بعض الشباب التعرض لها، تحرك من مكانه قائلا:

- سأذهب لأرتاح قليلًا، وهناك واحد من أصدقائي سيأتي بعد قليل، أيقظيني عندما يحضر.

دخل سيف حجرته، وترك نيرة وحيدة بصالة المنزل، تمتمت بحبٍ: ربي يسعدك يا هند أنتِ وسيف، يا رب يا رب اجعل لهما نصيبا سويًا.

تراه على بالها صورة الفتى لثالث مرة لا تعلم لماذا تود رؤيته ثالثًا، مازالت على مكانها واقفة تسمع دقات جرس الباب، أحكمت حجابها، وفتحت الباب صُدمت به يقف أمامها طالت نظرتهما طويلا، ردد جاسر: السلام عليكم.

أومأت برأسها إلى الأرض، ابتسم بخفوت: إذا سمحتِ هل حضرة الضابط سيف موجود؟ أيمكنك أن تخبريه بأنّ جاسر يريده.

لحظات قليلة مرت عليها، ثمّ قالت: تفضل، هو ينتظر حضورك.

لم يحاول الدخول ولكنه قال: من فضلك أخبريه بأنني هنا أولا.

تحركت بخطوات هادئة دخلت إلى حجرة سيف وأخبرته بحضور صديقه وقالت: قم بسرعة هو لم يدخل وينتظرك أمام الباب.

تحرك سيف من مكانه، تبعته نيرة، وظلت تنظر إلى جاسر من وراء سيف خجلت بشدة عندما رأته ينظر إليها، فورًا تحركت إلى غرفتها، ولكن دقات قلبها تسبقها ليدق باب المشاعر النقية قلبها لأول مرة بحياتها، إذا مصادفة، يكون أولها، نظرة، فابتسامة، فموعد، فلقاء!

....

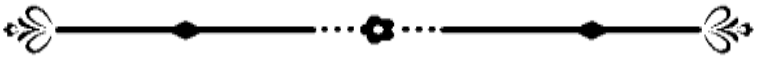

في مكانٍ ما بمنطقة راقية.

تجلس امرأة في العقد الخامس من عمرها وثلاثةُ رجالٍ ذوي أعمار متفاوتة بين العقد الثالث والخامس، يتبادلون الحديث.

- المرأة: هل أرسلت الصور؟

- مجهول1: نعم أرسلتهم.

- مجهول2: أنا لا أعلم ما قصة الصور تلك، ألم يكن من الأفضل التخلص منهم مباشرةً؟

- مجهول1: الأمر ليس بهذه البساطة، يجب أن نتريث حتى نأخذ حقنا ونقوم بعملنا، هؤلاء الناس لا يقومون بالخطوة سوى بعد الإعداد لها جيدًا.

- مجهول2: صحيح، الصحفي اليوم كان يهبط من منزله برفقة فتاة.

- المرأة: من هي؟ وما شكلها؟

- مجهول2: لا يوجد لدينا أي معلومات بعد، بمجرد أن يصلنا أي جديد سأبلغكِ به.

- مجهول3: حسنًا، سأرحل.

- مجهول1: ما الذي يحدث معك بالفترة الأخيرة.

- المرأة: يبدو بأنه قد اشتاق لأصدقائه.

- وبضحكة استهزاء: العشرة لا تهون سوى على ابن الحرام.

- مجهول2 أخرج مسدسه: لا، هذه تخسر بها حياتك.

- **مجهول3**: أنزل اللعبة التي بين يديك، لأنك لن تحتمل ما سيحدث بسببها.

- صفق **مجهول 1**بيده: حسنًا، لكن تذكر بأننا لا يجب أن نرفع السلاح على بعضنا، اللعبة التي بدأناها سويًا يجب أن ننهيها سويًا.

- **مجهول3**: لكن فعلتكم لن أستطيع نسيانها.

- وبصوت عالٍ إلى حدٍ ما بغضبٍ مكتومٍ: أنت وهم أعرف كيف أتعامل معكم.

- **مجهول1**: هل تهددنا؟

- **مجهول3**: كما تريد أن تفهمها! لكن ما يجب عليك معرفته بأنني لا أهدد، أنا أنفذ على الفور.

- المرأة: لقد أصبحت خطرًا علينا.

- **مجهول3**: لا تتدخلي؟ أنا هنا لرغبتي بذلك.

خرج **مجهول3**، صافعًا الباب خلفه، جعلهم يتبادلون النظر والتفكير إن كان معهم أم لا، خرجت المرأة أيضًا، وبقي الرجلان.

- **مجهول2**: يا باشا هؤلاء الناس لم يكونوا معنا منذ البداية، هل سنعادي بعضنا الآن؟

- **مجهول1**: أريد منك أن تضع الصحفي تحت عينيك جيدًا، واترك جاسر لي فقط بلغني بتحركاته، وأريدك أن تعرف ما قصة الفتاة التي كانت مع الصحفي.

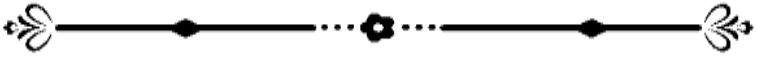

- وأشار بيده متذكرًا: صحيح ما هي أخبار سيف؟

- **مجهول2**: كالمعتاد لازال مع جاسر والصحفي عمر، أغلب الأوقات يتقابلون.

- **مجهول1**: اللعبة قاربت على الانتهاء.

- **مجهول2**: متى ستصل الشحنة؟

- **مجهول1**: ليس قبل ثلاثة أشهر، عند بداية العام الدراسي الجديد؛ لذلك يجب علينا أن ننتهي منهم قبل بداية السنة لكي نستطيع التوزيع جيدًا.

- **مجهول2**: تمام يا باشا.

انتهى اللقاء، ولا يعرفان ربما في لحظة تنقلب الأمور رأسًا على عقب.

....

دخلت وصال شقتها، وجدت الأنوار مغلقة؛ فصاحت عاليًا: هند، هند.

وصلت إلى مقبس الكهرباء، أضاءت الأنوار.

ابتسمت لخوفها الدائم من الظلام، ليست فوبيا، وإنما عدم حب للظلام الحالك، طرقت باب غرفة هند لكن لا رد منها، فهمت أنها نائمة، سريعًا توجهت إلى غرفتها، جلست على الفراش بضع دقائق مرت عليها تفكر في هدوء، ثمّ أخرجت هاتفها واتصلت بوالدتها.

طال الحديث معها لتسرد لها أحداث يومها وما مرت به، وانتهت بطلب عمر الزواج منها، تفهمت والدتها ما حدث، وأحست بنوع من الراحة نحو ابنتها، أخبرتها أنهم في خلال أسبوعين سينتقلون تمامًا للعيش في القاهرة،

فرحت وصال جدًا وأغلقت الهاتف بسعادة، أراحت نفسها على الفراش وتمددت مغلقة عينيها، تتذكر كلمات عمر، همساته، طلبها لأغنية سيرة الحبّ، نظرته لها مع كل كلمة، وضعه ليده على قلبه، ابتسمت ونامت بسعادة تسكن قلبها.

أما عن هند، فكانت تجلس في غرفتها لا تود الحديث، فقط تتذكر ما أخبرها به سيف، وما مرت به من موقف معه، وأخيرًا طلبه الزواج منها، تضرعت إلى الله أن يكون حقها وأن تنال الموافقة من أهلها ولا تتواجد أي عقبات، حلمت به كثيرًا، أخيرًا سمعت كلمة تريح قلبها وفكرها، ارتباط الوصال بالقلب والعين.

....

في طريقه للعودة إلى منزله، تذكر أغنية سيرة الحبّ، قرر سماعها ثانية، ابتسم لتذكره وصال وهي تجلس بجانبه على المقعد الآخر، أخيرًا سوف ينال قلبه قسطًا من الراحة، أحبّها دون علم أحد، سنواتٍ طويلة يعيش على اللقاء الأسبوعي الذي يطمئن به قلبه، الخصلة البيضاء الشاردة، تنهد بحبٍ، عشق امرأة تشبه ابنته، ضوء في المرآة عكس على عينه، وجد سيارات المراقبة ما زالت تتبعه، فورًا اتصل بجاسر وجده مع سيف، أخبره جاسر بعدم الخوف فهو على علم وما زالت خيوط اللعبة بيده، لأنه توصل إلى معلومات خطيرة، اتفقا على اللقاء في الغد، أخيرًا وصل عمر إلى منزله،

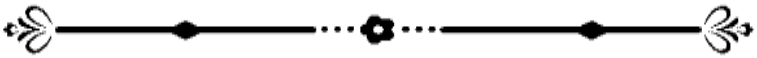

فكانت والدته في استقباله، تنظر إلى عمر بابتسامة خبث، يتبعها كلمات لم تعلن عنها بعد، رد لها ابتسامتها تمامًا، قائلًا لها: تصبحين على خير يا أمي.

- سعاد: أنا لم أنتظرك لكي تقول لي تصبحين على خير!

ـ حسنًا، لنلغي تصبحين على خير.

وبضحكة هروب من الموقف: كيف حالكِ اليوم؟

ـ أنت تفهم جيدًا ما أريد.

ـ ما أعرفه جيدًا بأنني سعيد، وأريد الذهاب للنوم دون أي نقاش أو جدال ينسيني سعادتي.

واتجه ناحية والدته مقبلًا جبينها مردداً: لننتظر الصباح، وسأخبركِ بكل شيء.

ربتت والدته على ظهره قائلة: أتمنى أن يأتي اليوم الذي أراك به سعيدًا.

لاحت ابتسامة سعادة على وجهه: قريبًا يا أمي، قريبًا.

تركها ورحل إلى غرفته، يتذكر وصاله، وصال عمر، عندما ترحل يذكرها قلبه باسم وصال عمر، تعيد وصاله، عند لقائها؛ فهو عاشق للوصال ليس اسمًا فقط وإنما صفه.

****

الفصل التاسع

أحداث هامة

خلال شهرين.

أهمها انتقال أهل وصال إلى القاهرة، واستقرارهم الدائم بجوار ابنتهم، انتهاء وصال وصديقتيها هند ونيرة من امتحانات السنة النهائية بكلية الإعلام، وحصولهن على شهادة التخرج، هند طلبت من سيف تأجيل موضوع زواجهما حتى التخرج للحصول على فرصة عمل، وأثناء هذه الفترة تحاول استشفاف رأي أهلها في موضوع زواجها به، طلبت أيضًا وصال من عمر التأني في طلبها من والديها حتى يستقرا تمامًا، وتكون حصلت على فرصة العمل المناسبة لها، مع ترك المساحة الكافية لها في طريقة الحصول عليها والاعتماد على نفسها، أما عن العنيدة المشاكسة المرحة نيرة، كانت تتابع جاسر عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وبسؤال غير مباشر لأخيها سيف.

أما جاسر كانت تجول بخاطره دومًا، الصلبة نيرة، كيان امرأة لم يقابلها بعد، ولكن هناك حرب أخرى يجب عليه إغلاقها قبل البدء في حياةٍ جديدة، عمل جاهدًا على الوصول إلى الجاني الحقيقي، في قضية زوجته، من يظن أنها كانت حبيبته قبل أن تكون زوجته.

وسيف يراقب هند جيدًا، يستمتع بأخلاقها وخجلها، وجهها الذي أضاء لحياته نورًا من نوع خاص.

وأخيرًا، عمر تعود سؤال أسيل ابنته عن وصال وأيضًا والدته وأخته، أبلغهن بأنه طلبها فعليًا للزواج، لكنها فضلت الانتظار، وبالتأكيد فرحت مريم بعودته للحياة والحب من جديد.

تجلس المرأة مع مجهول 1، لتقول: أكرهه وأصبحت أكره ابنته التي كانت سببًا لحرماني من ابنتي.

ليرد عليها قائلًا: أنا الذي رمى ابنته في النار لأجل عملي، لذلك وضعتها في طريق الضابط؛ لكنه هو سبب موتها، لم أوافق على زواجهما؛ لكنها هي التي أصرت لأجل العمل، وعندما جئت لأتخلص منه...

وأكمل حديثه بغل وحقد وهو يضم شفتيه: هي التي أصابتها الرصاصة بالخطأ، لذلك يجب أن أتخلص منه بالطريقة التي تليق به.

ردت سمية والدة نهلة زوجة عمر: ما الذي ستفعله مع صديقه؟

سامي والد شهد زوجة جاسر: صديقه هذا ضعيف، منذ ما فعلناه مع زوجته، هو لن يستطيع طالما أنه يشعر بالتيه.

ـ عمر ليس بالخصم السهل، احذر منه!

ـ أعلم، لكنني كنت أتمنى لو أعرف من الذي أعطاه بداية الأوراق، بداية القضية؟!

ـ الخيانة لا تأتي سوى من أقرب الناس، فكر من الذي يمكنه فعلها، أكيد شخص قريب منك.

ـ كنت أشك بمرسي، لكنني تأكدت بأنه لن يفعلها.

ـ إذًا ابحث عمن قد يفعلها.

ـ أشعر بأنه شخص ما، وإذا كان هو لن أرحمه.

ـ ما قصة تلك الفتاة التي كانت مع عمر؟

ـ نعم كانت طالبة لديه، والآن هي تعمل معه في الجريدة التي يعمل بها.

ـ هل تفكر بأن تأخذ مكان ابنتي؟ هل يريد أن يكمل حياته بعد موت ابنتي؟!

وبحدة وغضب: سامي، يجب أن تتخلص منه، يجب أن أفرح بموته قريبًا.

ـ لا تقلقي، قريبًا سينتهي أمره.

وابتسم بشر: سأحضرها لكِ، حينها افعلي بها ما شئتِ.

....

في الجريدة

تعمل هند، نيرة، ووصال بجد، تم تعيينهن بشبه واسطة من قِبل عمر وسيف، وأيضًا لكفاءتهن وتقديراتهن الجيدة، دقت باب مكتبه ليأذن لها بالدخول.

ـ صباح الخير يا دكتور عمر.

فور دخولها تحرك من مكانه مبتسمًا، توقفت مكانها.

- عمر: أتعلمين لماذا هو خير يا وصال؟

هزت رأسها بالنفي، ليكمل: لأنني أراكِ به.

خجلت من كلماته، يزيد اقترابه منها متابعًا: فقط وافقي على الزواج مني، وليكن بعلمكِ لن تكون هناك فترة خطوبة.

تنظر له مستفهمة، ليتابع: لأنني لن أقدر على منع نفسي بعيدًا عنكِ كثيرًا، أريد الاقتراب ولا أستطيع، وأنتِ يزداد حسنكِ وبهاؤكِ كل يوم أكثر.

أصبحت وجنتاها كحبات الفراولة الناضجة، أثارت وصاله، ليزيد اقترابه منها، هامسًا: اشتقت إليكِ يا وصال عمر.

رفعت عينيها إليه، تاهت الحروف على شفتيها، زاد اقترابه إلى الحد غير المسموح به، ليقول لها: هل تسمحين لي؟

التقطت أنفاسها بصعوبة بالغة في محاولة الابتعاد عنه، مالت برأسها قليلًا، أنقذها من الموقف رنين هاتفه، انتبه عمر لنفسه ونظر لها بعمق، أدار وجهه عنها وزفر عاليًا: أعتذر يا وصال.

- جاهدت لتخرج الكلام من حلقها: بعد إذنك.

- عمر: وصال، من فضلكِ...

إلا أنّ دقات الهاتف قاطعته للمرة الثانية ليرد مرغمًا: ألو.

- مجهول بنبرة تهكم: الصحفي المحترم دكتور عمر، كيف حالك؟

- عمر: صدقا قبل أن أستمع لصوتك كنتُ بخير، هل يمكنك أن تعرفني بنفسك، لكي أستطيع الترحيب بك.

- مجهول: لا يهم من أنا، لأنني لم أرحب بك كفاية، لكنني كنت أريد إخبارك بأن تنتبه للجميلة التي معك، لأنها باهرة الجمال!

جحظت عينا عمر، نظر لوصال، ليكمل المجهول كلماته السامة: لن أخبرك ما الذي نفعله مع الفتيات الجميلات، أعتقد بأنك قد رأيت من قبل؟!

تحرك عمر سريعًا وقبض على يد وصال، شعرت بالخوف من شكل وملامح عمر الغاضبة.

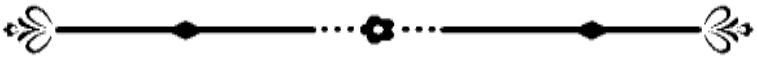

- عمر بحدة: إذا أردت فلتمس منها شعرة واحدة لكي أُحيل حياتك للجحيم على الأرض.

ضحكات شيطانية مفزعة اخترقت قلب وعقل عمر، لتثير غضبه باقي كلمات المجهول:

- ما بيدك افعله إذا استطعت الوصول لي، فقط فكر بابنتك، أمك، أختك وابنها، وقبلهم جميعًا تلك الحسناء بجوارك، فقط لا تتشاق من الممكن أن يدخل أحدهم ويراك بوضع غير لائق.

لهيب من النيران شُكلت حول عمر بعد سماعه آخر الكلمات قبل إغلاق الخط، دار بعينيه في الغرفة، بحثًا عن شيء، بتردد بالغ سألت وصال: عمر ما الذي يحدث؟

التقط سترته وهو ما زال قابضًا على يد وصال: ستأتين معي لمنزلي الآن، حالًا وبدون أي نقاش!

تجهم وجهها، حاولت الابتعاد وفك قبضة يده، أخيرًا نجحت في فكها، لتسأله: أخبرني ما الذي يحدث؟

- رن هاتفه للمرة الثالثة، فتح الخط سريعًا: جاسر، إنه يهددني بوصال.

- جاسر: اهدأ يا عمر، لأنّ ما علمته لن تصدقه.

- عمر: تحدث سريعًا.

- جاسر: سمية هانم حماتك، لها دخل بكل ما يحدث.

صاعقه كبرى ألحقت به عقب كلمات جاسر، ليكمل: لا تقلق، سيف معي وسنأتي لك حالًا.

أغلق الهاتف ونظر لوصال: افهمي ما أريده، قضية المخدرات وشباب الجامعة وترويجها.

- وصال: ما بها؟ لقد اطلعت على التحقيق الصحفي الذي قمتُ به!

- عمر بأسى: وذلك كان خطئي لأنني تركتكِ تكملينها، تلك القضية مرتبطة بقضية شغب وأمور حدثت منذ عامٍ وأكثر.

ـ أريد أن أفهم.

ـ وصال حبيبتي، أنتِ بخطر، يجب أن تأتي معي للمنزل، أرجوكِ، أنا أخاف عليكِ!

سريعًا احتضنها عمر بكل خوف يملكه، دفعته بحدة:

- عمر، هذا لا يليق، كيف آتي معك لمنزلك، وبأي صفة؟!

- صاح عاليًا: يجب عليكِ المجيء معي، ولن أتركك!

ظل خلف وصال انتبه له عمر، رفع رأسه ليجد مازن أمامه، ليتحدث إليه: تعال كيف حالك؟

سريعًا تحركت وصال وذهبت إلى مكتبها.

....

في سيارة سيف يجلس شاردًا للقائها بعد أكثر من أسبوعين بالحجاب الخجول ذاته.

والآخر شارد في العنيدة، الأبية نيرة، تذكر فجأة مراقبته لمنزل عمر، وجد امرأة وبعد البحث عنها، عرف أنها سمية والدة زوجة عمر، كانت تتحدث مع أحد الأشخاص وعند استجوابه والضغط عليه، عرف بملاحقتها لعمر، قرر إبلاغه بذلك، وصلت معلومات أخرى لسيف تفيد بوجود شخص ينقل لهم كافة تحركاتهم، ويجب عليهم الحذر جيدًا.

....

وقف مازن مع عمر يتبادلان الحديث سويًا في أمور عدة، انتبه عمر لوصال تحمل حقيبتها وتخرج ونيرة وهند تحاولان اللحاق بها، استأذن عمر من مازن للرحيل: بعد إذنك الآن ولكنني سأقابلك بالمساء.

ـ انتظر، أريدك لأمرٍ هام يخص مريم ومحمود.

حزن عمر لفقد أثر وصال وسأل مازن عما يحدث: ماذا بهما؟!

ـ لا أعلم، ولكن متى كانت آخر مرة ذهبت لهما؟

تعجب عمر من حديث مازن غير المرتب ولكنه قرر مجاراته: منذ أسبوع، لكن لماذا تسأل؟

ـ لم أرَك عندهم منذ فترة، وأردت السؤال إذا كان يوجد بينكم أي خلاف.

ـ لا يا مازن لا يوجد بيننا أي خلاف؛ بل أنت الذي لم تكن معنا بالفترة الأخيرة، حتى هذا رأي جاسر أيضًا.

ـ جاسر وسيف هما من ابتعدا عني، لأرحل أنا الآن، وداعًا.

وتركه وغادر، تعجب عمر كثيرًا للزيارة، نفضها عن ذهنه، وخرج سريعًا للحاق بوصال.

....

استيقظت وصال فوجدت نفسها مكبلة الأيدي، نظرت للمكان حولها وجدته مكانًا قديمًا مليئًا بالأتربة، تذكرت فجأة مرور سيارة بجانبها لثوانٍ معدودة، وفقدت الوعي بعدها، فجأة دخل شخص لا تعرفه (مجهول 3).

يبتسم: هل أزعجتك يا آنسة وصال؟

جلس على الكرسي، واضعًا إحدى قدميه فوق الأخرى، ردت بابتسامة وقوة خارجية، وخوف داخلي: أظن بأنني أعرفك، ليس المعرفة الشخصية؛ لكنني أعلم تلك النوعية خاصتك، هل رأيتك من قبل؟

نظر إليها بشر: الأستاذة الصحفية قررت بأن تبدأ المواجهة والتحدي، من فضلكِ أكملي.

ـ عندما تُخطف إحداهن، تُخدر، وعند استيقاظها تجد أحدهم أمامها بديهي بأن تسأل من أنت؟ ولماذا أنا هنا؟

- صفق بيديه: برافو، لكنكِ نسيتِ قول بأنها تكون خائفة.

- وصال وهي مبتسمة: أخاف؟! أظن بأنك تعلم جيدًا من أنا وإلا لم تكن لتخطفني!

تحرك من مكانه، وقف ليقابل عينيها: أرى نفس عينيه، كأنكما واحد.

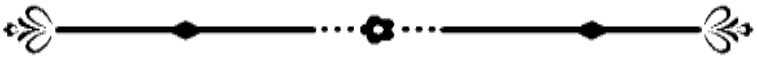

ـ من تقصد؟

ـ أسألكِ أنا، لماذا تظنين بأنكِ هنا؟

وصال بلا مبالاة وهزت كتفيها: صحفية، قوية، مميزة، بالطبع سيكون لي أعداء، هذا أمر طبيعي.

ـ تعلمين بأنكِ تتحدثين مثله، نفس أسلوبه!

جال لخاطرها، وصال وهي تتمتم: عمر.

ـ برافو، ذكية، ولماحة، بالطبع هو حبيب القلب!

وصال بدون تعليق على كلمته الأخيرة: فعلًا، أعرف نفسي جيدًا لكنك الذي لا تعرف بأنك جبان جدًا.

صفعة قوية جعلت وصال تفقد رؤيتها لثوانٍ، قبل أن ترى خيوط الدماء تسيل على شفتيها، وهو يجذب حجابها إلى الوراء: القادم جميعه سيتم تخليصه منكِ وفيكِ.

وبصراخ عالٍ: أنتِ لا تعلمين ما الذي فعله حضرة الصحفي المحترم دكتور عمر؟ ولا ما فعله حضرة الضابط جاسر باشا؟

وضحك عاليًا بشر: لكنني استطعت أن أشفي غليلي منهما... حضرة الضابط، جاسر باشا، استطعت بأن آخذ منه أغلى شيء لديه، زوجته، بيوم زفافه، أمام عينيه وهي تتعلق بذراعه، هل تتخيلين الموقف؟

والتفت إليها بشرٍ طاغٍ يظهر في عينيه: لكن دكتور عمر، لم أكن أجد لديه نقطة ضعف لأكسره بها.

وابتسم بسماجة: لكن الآن أصبح لديه.

صرخت وصال: أنت غير طبيعي، أنا ليس لي علاقة بعمر...

صرخ بها: ستكذبين، عندما تكونين طالبته، وبمجرد أن تنهي دراستكِ وتعملين معه بنفس الجريدة، وأيضًا على نفس القضية التي كان يعمل عليها، ماذا يعني ذلك؟

وضغط على ذراعها: أخبريني، ماذا يُسمى هذا؟

ـ لا تظن بأنني أخافك، لا، روحي بيد من خلقني، وعمر مسؤول عن نفسه، أنت تعلم بأنك ضعيف.

لم تكمل كلمتها إلا وفكها بين يديه: اخرسي.

حركت رأسها لتحرر فكها: عندما تأخذ حقك من أحدٍ غير الذي ظلمك مثلما تقول فأنت ضعيف، جاسر وعمر ظلماك قف أمامهما، وخذ حقك بيدك منهما.

ـ ومن أخبركِ بأنني لن أقف أمامهما، لكنني أريد حرق قلبيهما مثل حرقة قلبي وبعدها سآخذ روحهما، وقتها سيعلمان بأن الضربة لا تؤذي سوى من أقرب الناس إليك.

وصال وقد بدأ الشك والخوف يساور قلبها: أنت تعرف عمر وجاسر، كيف؟ وما الذي فعلاه بك لتكون بمثل هذا الشر؟

جال لخاطره ذكرى مريرة أثرت في نفسه وقلبه، هبطت الدموع تباعًا: قتلوها وقتلوه، فقط لأجل كبرياء جاسر!

وصرخ: أليس من المفترض بأننا أصدقاء، لكن جاسر باشا رأيه فوق الجميع!

وصال بشرود: من الذي قُتل؟

رفع مازن وجهه مقابلًا لها بألم ينبض من جميع أجزاء جسده: أخي وأختي.

صدمة احتلت ملامح وصال، تردد: أخوك وأختك سويًا؟

زفر مازن بألم كأنه يرى المشهد أمامه: كنت أعمل مع جاسر على قضية عن الشغب وأناس يعيشون في منطقة شعبية، يقومون بالتجارة بكل شيء وأي شيء قد تفكرين به، كان من المفترض أن ينضم واحد منا إليهم، وكنتُ أنا، ووصلت فعلًا، لكن أختي قد مرضت وكانت وحدها، ولم يكن معها أحد، لم أستطع الوصول لأخي أو حتى إبلاغ جاسر، لم يكن يرد، واضطررتُ للوصول لها، لسوء حظي بأنّ أحدهم رآني وكان يراقبني، استطاعوا معرفة من أنا!

جلس أرضًا وبكى واضعًا كفيه على وجهه: فقط تركتها ليقوموا بخطفها، وأخي أيضًا، أتعلمين ماذا يعني أن أرى زوجتي مع أناس مثلهم بهذه الحقارة، سأدع لكِ تخيل ما الذي من الممكن أن يكون قد حدث لها وما فعلوه بها، عندما طلبت من جاسر مساعدتي تأخر، وتعرفين تأخر دقيقة واحدة ماذا يفعل، رأيته... رأيته وهو...

انقبض قلب وصال؛ فأصبحت بلا روح، هبطت دموعها وهي ترى رجلًا بهيئته يبكي؛ لينطق مازن أخيرًا: لكن تعرفين شهد زوجة جاسر كان يجب

أن تموت، لقد أحببتها لكنها اختارته هو، لم أحزن، هي لم تكن من نصيبي، لكن أن يكون معها وأختي تموت وأنا أحتاج مساعدته لي، وهي ترفض أن تتركه يرد عليّ لمجرد العناد!

ـ هل قتلتها فعلًا؟

هز رأسه نفيًا: لم أستطع، لم أستطع، ليتني فعلت! ولكن هم من فعلوها عندما علموا ما فعله بعدها، لقد كنتُ أشعر بالنيران تكوي داخلي، ولكنها للأسف أخذت الرصاصة بدلًا عنه.

ضحك بهستيريا: الأمر أكبر من ذلك، في حقيقة الأمر شهد كانت مرسلة إليه.

حالة من الذهول وصلت إليها وصال لتردد: ما الذي فعله عمر؟

تنهد مازن معلنًا عن ألمه: عمر كان بمثابة أخي الكبير وأكثر، أتته معلومات من امرأة لا يعرفها عن أعمال مشبوهة وأناس تقوم بتدمير حياة الشباب، أول تحقيق صحفي بدأ يذكر فيه أسماءهم، بتلك الفترة كنا نحن نقوم بالتحقيق أيضًا، أختي ماتت وقبل أن يتحرى عن الفتاة وجدوها مقتولة، قال بأنها كانت تعمل معهم.

تساقطت دموعه: لكن المقصودة كانت واحدة أخرى، لا أعرف كيف لم يتعرف عليها ويقوم بالتشهير بها! أووووه.

ضحك عاليًا: واليوم عندما يراكِ معي، وبين ذراعي سأجعله يتمنى الموت.

وصال بخوف: اخرس.

صفعات متتالية هبطت على وجهها ونزع حجابها، وأدمى وجهها، لتقول بشجاعة: عندما علم عمر وجاسر بما حدث لأختك ماذا فعلا؟

ـ عمر وقف بجانبي، وقام بنشر اعتذار وكان يحاول هو وجاسر أخذ حقها.

ـ أنت مدرك ماذا تقول؟ هما كانا يساعدانك، وهذا يكون جزاؤهما، أهذا هو ردك للجميل، هل عندما يحدث لي مثلما حدث لأختك هكذا ستكون قد أخذت حقها؟!

كلمات وصال بثت في نفسه التردد، نظر لها بخوف، تمنى لو كان أسعفه الوقت وأنقذ أخته، ليُفتح الباب بعنف وتدخل سمية ومعها مرسي (مجهول 2)، الذراع الأيمن لسامي، ابتسمت بشر: أنتِ التي ستأخذين مكان ابنتي؟

صفعتها مرددة: لن يحدث أبدًا.

وبدأت بخنقها: ستموتين مثلها!

سريعًا توجه إليها مازن بشيء من الخوف والقلق تغلب عليه قائلًا: هل ستقتلينها بتلك البساطة، انتظري حتى يصل!

****

الفصل العاشر

الحقيقة

مر وقت طويل وعمر يحاول الاتصال بوصال، ولكن هاتفها مغلق، دب الخوف والقلق بقلبه، اتصل بوالدتها، عرف أنها ليست بالمنزل، سريعًا هاتف جاسر، وأخبره بعدم عودة وصال وأنه تم تنفيذ التهديد، علم سيف بما حدث، ومنه نيرة وهند، اجتمعوا لمحاولة الوصول إليها بتفريغ كاميرات الجريدة الخارجية علموا باختطافها، تتبعوا آثار سيارة الجناة تم معرفة المكان، فورًا توجهوا إليه، وصلوا إليها، كل من نيرة وهند تدعو لنجاة صديقتهم.

أما عن عمر أصبح بلا وصال فعليًا، جن عقله وقلبه من التفكير بوصال عمر، هبطت هند من السيارة تطلعت إلى المكان، لاح لها من إحدى النوافذ صورة وصال، لتهتف عاليًا: سيف هذه هي وصال!

سيف: اهدئي يا هند، إن شاء الله ستكون بخير.

تحرك عمر بسرعة إلى الأمام، يسبق جاسر وسيف بعدة خطوات، ليجذبه سيف: أين ستذهب؟ ألم تسمع صوت إطلاق الرصاص؟!

صاح عاليًا: هذا خطئي لأنني قد أحضرتكم معي.

عمر: استمع لي، أولا تكلم عن نفسك، في الإعلام يعني هذا عملي أيضًا، وجودي هنا لكي أغطي الحدث، ثانيًا وهذا الأهم تلك الفتاة ليست سوى عمل بالنسبة لك، أو صديقة أختك، أما بالنسبة لي تلك هي وصالي أنا.

بأسى وألم أكمل حديثه: أيرضيك أن أكون هنا وهي بالداخل وحدها؟!

نفض يده، وبدأ في دراسة المكان حوله لكيفية الوصول إليها، وصال عمر، أما عن المشاكسة وعنيدها، وصل إلى مكان الحدث صوت الطلقات النارية، يثير الرجفة في القلوب، لكنها بهدوء تام هبطت من السيارة وفتحت كاميرا هاتفها، وبدأت تلتقط بعض الصور، وتدرس المكان، في هذه الأثناء، شد جاسر صمام الأمان لمسدسه، وجهز الآخر وبدأ يفحص المكان بعينيه، جال بصره إليها وجدها تتحرك في المكان بأريحية تامة، وكأن صوت الرصاص الحي لا يعنيها، لا يرف لها جفن، على عجلة منه لحق بها، جذب ذراعها، ليختل توازنهما معًا سقط جاسر وسقطت فوقه، لحظات من السكون التام، عزله عن العالم نظرات تقابلها نظرات؛ دقات تماثلها دقات، نظر إلى عينها طويلًا، دون مقدمات، نسي وضعهما، رفع يده ليضعها على وجنتيها، لمسها برفق، وصل إلى شفتيها، رسمها بإصبعه، أغمض عينيه، ليحفظ ملامحها، لمساته، أثارت رجفة بقلبها، تاهت معه، حاول الاقتراب أكثر، ليهمس بصوت هادئ شغوف: نيرة، نيرة.

انتبه على وضعهما سريعًا حركها من فوقه وقام وجذبها ناحية حائط للاختباء، ليصيح عاليًا: من تظنين نفسكِ، تمشين وسط إطلاق الرصاص دون أدنى اهتمام؟

نيرة بعند: أنا امرأة بمائة رجل، وأقوم بعملي مثلك تمامًا، وإذا سمحت لي توقف عن إضاعة وقتي وقم بعملك يا حضرة الضابط، لا تهتم بأمري واهتم بنفسك فقط.

خرج منه سبابًا لاعنًا غصبًا عنه، هذه المشاكسة تفقده عقله كليًا لينتبه على رنين هاتفه، يخرج الهاتف، يرى "برايفت نمبر"، يمط شفته وينظر لها، لتقول: بالطبع سيكون واحد منهم.

فتح الهاتف، ليجد صوتًا ذكوريًا، ربما في العقد السادس من عمره، الصوت ليس غريبًا!

مجهول1، (سامي): رائع هذا العرض الذي حدث الآن، صدقًا لقد قمت بتسجيله، ربما بضع دقائق قبل أن تجده مرفوعًا على مواقع التواصل جميعها.

جاسر: من أنت أيها الحقير؟ وماذا تريد؟!

سامي يتجاهل السؤال: الآنسة نيرة الضوء بأحضان الضابط جاسر الديب، بووووم!" يضحك سامي عاليًا.

جاسر: اخرس أيها الحقير، لن أرحمك، قسمًا بمن خلقني لن أرحمك.

سامي: فقط انتبه لأمرها لكي لا تذهب مثل من سبقتها.

ويتحدث بغل: أتعلم بأنني أملك بعض الرحمة عنك، كان من المفترض بأن تموت أنت لكن الرصاصة أصابتها بالخطأ!

رد جاسر: خطأ، من أنت؟ وبأي حق تتحدث عن زوجتي؟

زادت ضحكات سامي: عيب يا حضرة الضابط، ألا تعلم من أنا؟!

أغلق سامي الهاتف، لينظر جاسر إلى نيرة بحدة قائلًا: أنتِ تنتظرين هنا، وتجلسين داخل السيارة وأغلقي عليكِ جيدًا.

نيرة: لماذا أنت هكذا؟!

كمم جاسر فمها سريعًا، ونظرات الشر والغضب تتطاير من عينه: استمعي لي جيدًا، هذا ليس وقتًا للنقاش.

لم يمهلها الوقت للحديث مرة أخرى، فورًا دفعها داخل السيارة وأغلق قفلها عليها، مع نظرات تحذيرية بعدم الهبوط، اشتعلت النار بنيرة من هذا المتعجرف، وقررت تلقينه درسًا لا ينساه، من هو ليكبت حريتها وطموحها الصحفي؟!

....

انسابت دموع عينيها أمامه؛ فكان في حيرة من أمره، يتركها تبكي لرؤية صفعات صديقتها المكبلة أمام عينيها، أم يذهب للحاق بعمر، تغلب قلبه على عقله، وتمرد على الواجب المحتم عليه القيام به، احتضنها سيف بحبٍ خالص، فتح السيارة أجلسها على المقعد، وبدأ يهمس لها كلمات رقيقة تهدهدها، ابتسم لها بحب قائلا: هند، لا تخافي وساعديني لكي أحاول اللحاق بعمر ونُخرج وصال، أيمكنك أن تهدئي وتنتظريني هنا؟!

سريعًا تحدثت: نعم، هيا اذهب.

ابتسم لها وأغلق السيارة ورحل.

....

أما عن عاشق الوصال، الذي سلبت وصاله اسمًا وفعلًا، رأى من يصفعها على وجهها، ولم يتبين له شخصيته، سريعًا تحرك محاولا الوصول إليها، لحق به سيف وجاسر وبعض أفراد الشرطة الآخرين، تخلص سيف وجاسر من كل من يقف أمامه في محاولة الوصول إلى وصال بالداخل.

جلست تبكي وصال من كثرة صفعات المرأة لها، دخل سامي ووقفوا جميعًا أمامها، يلقون اللوم عليها وكأنها مذنب أساسي!

سمية: لن أتركك تعيشين، سأقتلكِ وأثأر لابنتي منكِ.

رؤيتها بهذا الوضع جعلت مازن قلبه يحن لها، ولكن ليس بيده شيء يفعله من أجلها.

على عجلة تم فتح الباب ليدخل عمر أولًا، شق قلبه نصفين لرؤية وصال في هذا الوضع حجابها ليس على شعرها، ملابسها ممزقة، يظهر الخوف في عينيها، لحقا به جاسر وسيف، كانت الصدمة الكبرى من حق جاسر عندما رأى سامي والد شهد أمام عينيه ومرسي مدير أعماله، أشهر السلاح بوجه، هيهات، لكن الصدمة التي حلت على الجميع توقف على إثرها ثلاثة رجال على صف واحد جاحظي العيون؛ لرؤية مازن معهم تبادل النظرات ما بين خوف وعتاب وألم وحقد وكره، نظرات بمشاعر مختلطة، ليقول سامي: بالطبع، لم تكن لتصدق يا حضرة الضابط ويا دكتور عمر، أخبراني ما رأيكما بهذه المفاجأة؟!

سمية: كنت تريد عيش حياتك بعد موت ابنتي، ألم تكن أنت سبب موتها، سبب قتلها؟!

نظر عمر إلى سمية ثم إلى وصال، استعاد الشباب قوتهم، ليقول سيف: مازن! أنت آخر شخص كنتُ أتوقع أن أراه هنا!

نظرات الخزي جعلته ينظر إلى الأرض، لكن تحدث سامي بدلًا عنه قائلًا: كان يجب أن تتوقع يا حضرة الضابط أن الضربة لا تأتيكِ سوى من أقرب المقربين، يجب أن تعلم بأنه يأخذ حقه من أصدقائه.

صرخ جاسر: أي حق؟! وما الذي فعلناه له؟!

سيف: وهل عندما يريد أن يأخذ حقه يقف مع أعدائه؟!

تحدث إلى مازن: أخبرني، كيف استطعت الوقوف معهم علينا؟!

مازالت عين عمر معلقة بوصاله، على غفلة أطلق مرسي رصاصة كانت من نصيب سيف، أصابته بذراعه، أطلق جاسر رصاصة فورًا على مرسي الذي لقي حتفه فورًا، ليرد سامي برصاصة لكن كان مازن الأقرب، تحرك أمام المسدس، استقرت الرصاصة بصدر مازن.

صعق جاسر ليصيح عاليًا: مااااازن!

سريعًا أطلق سيف عدة طلقات على صدر سامي، وقع مكانه حاولت سمية الهرب، أطلق سيف رصاصة على قدمها، شلت حركتها، ترك عمر وصال وتوجه إلى مازن.

احتضنه بين يديه، نظرت له وصال برعب لا تستطيع الحديث.

جاسر: مازن، هيا عُد لوعيك، أنت لن تتركني.

وجه حديثه لسيف وعمر: بسرعة اطلبوا الإسعاف.

انسابت دموع جاسر وعمر، ليضحك مازن: لم أكن أعرف أنكما تحبانني هكذا؟!

لملمت وصال حجابها وملابسها جيدًا، وقفت بجانب عمر، تشبثت بقميصه، نظر إلى يدها، ابتسم لها باطمئنان، ينظر مازن إلى جاسر متحدثا بألم: كنت أظنك أسدًا، لكنك يجب أن تعرف بأنني كنت أنتقم لأختي وأخي ولك... لأجل شهد...

وتنتابه كحات مصاحبة بدماء، جاسر بدموع: اهدأ، ستكون بخير.

نظر إلى عمر: أنا من أرسلت لك تلك الأوراق.

ونظر إلى وصال: آسف على ما فعلته معكِ، كان يجب أن أحبك الدور.

وصال: من فضلك لا تتحدث، أنا لست غاضبة منك، لكنني سأحزن إذا حدث لك شيء سيّئ.

سيف: لقد وصلت الإسعاف.

....

بعد أسبوع بالجريدة.

تتحدث هند تلفونيًا مع سيف

ـ هل أصبحت أفضل يا سيف؟ ذراعك صار أفضل؟!

سيف بمراوغة: سأكون بخير حال إذا رأيتكِ.

خجلت هند وتورد وجهها: توقف، أنت تخجلني بحديثك هذا، لن أتحدث معك مجددًا.

سيف: بعد أسبوع ستتحدثين معي ميري ومالكي وشافعي وأبو حنيفة.

هند بضحك ينشرح له قلب سيف الذي احتلته: حسنًا، انتظر لأسبوع.

ـ على قلبك مجرد أسبوع، لكن على قلبي سنة وليس أسبوعًا!

يكمل بنبرة حب: لقد اشتقتكِ يا قلب سيف.

ـ هذا لا يجوز يا سيف!

سيف بحدة: والله لأكون السيف الذي يقطع رقبتك، لا تكوني سخيفة!

عزفت نغمات موسيقى وليست ضحكات مرددة بدلال: وأهون على قلب سيف؟!

تراجع سيف خطوات؛ بل أميال ليبتسم: أحبكِ يا هند.

ـ وأنا أيضًا.

أغلقت الهاتف سريعًا دون كلمة أخرى.

....

أكلت طريق مكتبها ذهابًا وإيابًا قائلة: يجب أن يعلم مع من يتعامل، أنا نيرة الضوء.

ـ حدث لنا الرعب والتهديد.

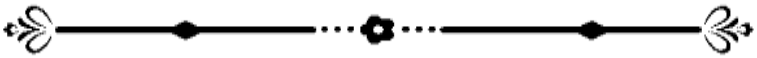

قالها جاسر وأغلق الباب ودخل، سار خطوات قليلة، تُضيّق عينيها وعلى فترات نظرت حولها، التقطت آلة حديدية من فوق مكتبها، توجهت نحوه: سيكون تنفيذًا وليس تهديدًا.

ثبتت ذراعيه فوق المقعد: أما زلت تريد الحديث معي؟

نظر طويلا بعينيها، صدرت ذبذبات بينهما، لتتيه الأقوال والأفعال، رفع يده يمسك بذقنها: أنتظر لتريني ما الذي تفعلينه بي!

ـ نعم.

جاسر بضغط على كل حرف: أنتظر لتريني ما الذي ستفعلينه بي!

ونادى باسمها بنبرة جعلتها فقدت كل دفاعاتها: نيرة.

ـ ها.

ـ تتزوجينني؟ لم أعد أتخيل حياتي دونكِ.

ـ ها، نعم، نعم.

وهي تهز رأسها، جاسر اقترب بوجهه منها، مقبلًا جبينها: هذه دليل الموافقة.

وقام عن مقعده وأجلسها مردداً: نيرة، روحي متعلقة بكِ، منذ أول مرة رأيتكِ بها، أحبكِ.

نيرة وحالة شرود تتملكها: أحبك.

وصل إلى مستقر كلماتها ليتذوق طعم كلماتها، بنفسه.

....

في الجريدة، أمام مكتب عمر، تدق الباب بأصابع مرتجفة وقلب يدق، سمح لها بالدخول، وجدها تنظر أرضًا.

تحدث بنبرة عادية: أستاذة وصال هل حدث شيء؟

وصال: دكتور عمر، يوجد تحقيق أريد عرضه على حضرتك.

ـ ليس الآن، فأنا منشغل وسأذهب.

تحرك من مكانه، غضب داخلي احتل صدرها، لم تحاول إظهاره، قائلة: هل حدث شيء؟

عمر بلا مبالاة: لا أبدًا، لم يحدث أي شيء، بعد إذنكِ سأرحل.

وصال بنبرة حب وهدوء: عمر، عمر.

ثبت مكانه لتتابع: أنا آسفة، وموافقة.

فرحة عامرة ملأت قلبه، لم يحاول إظهارها: سأخرج مع أسيل، عندما أعود سأفكر.

وصال برجاء: عمر، أريد الذهاب معكما، هل يمكنني؟

لم يستطيع تحمل أكثر من ذلك، لحظة واحدة وكانت بين يديه، يحكم حصارها تمامًا: ليكن بعلمكِ، زفافنا سيكون بعد أسبوع.

هزت رأسها بفرح، لتزين الحمرة خديها، وشفتيها الورديتين ترتجف لضمته، وقلب يرفرف كالأعلام، حاول تذوق شفتيها، اقترب ليلامسها، منعته بوضع يدها: بعد أسبوع سيكون حقك أما الآن لا.

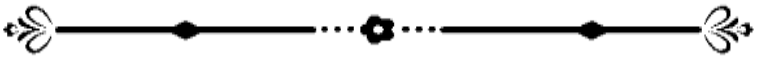

كلماتها أثارت رغبته أكثر، شعر بشغف منحته الحياة من أجل شفتيها الورديتين، لينقض ملتهمًا شفتيها في قبلة عاتية ويصرخ: كل شيء بكِ ملك لي وحدي، منذ زمن وليس بعد أسبوع، أرواحنا مرتبطة ببعضها منذ زمن، أنتِ عشق عمر، روح عمر، ووصال عمر، عشق الوصال.

****

الخاتمة

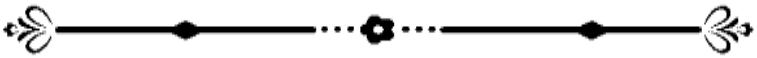

في شقة عمر.

عاد عمر من عمله حاملًا الورد وبعض العلب المغلفة، وجدها تجلس برفقة ابنته، وتحمل على ذراعها ابنها يامن، وضع ما بيده فوق السفرة، ثم وضع ذراعيه فوق بعضهما ينظر لهما بحب، أسرته الصغيرة، وسمع حوارهم.

أسيل: أمي، ماما وصال، لقد قررت أنا وأبي شراء هدية عيد الأم لكِ، لكنه قال لي ألا أخبركِ، لكنني لا أخفي أي شيء عنكِ.

ابتسمت وصال بحب لطفلتها وربتت على ظهرها: انظري يا أسيل، عندما يخبركِ أحد بأن هذا سر ينبغي أن نكتمه؛ لأن السر هو أمانة يجب علينا الحفاظ عليها.

ـ حتى أنتِ؟!

ـ حتى أنا، يجب أن نتعلم الحفاظ على أسرارنا، ولا نكذب ونقول الحقيقة دائمًا.

شاهد عمر الصورة الماثلة أمامه بحب وارتياح؛ لأنها ليست زوجة أب إنما هي أم عن ظهر قلب لابنته اليتيمة؛ أصبح لديه زوجة وحبيبة يعتبرها ابنته مثل أسيل، أصدر صوتًا عاليًا دليل وجوده، فهرولت أسيل نحوه رفعها واحتضنها عاليًا.

أما عن العنيدة، صلبة الرأي، تذكرت عندما أخبرتها نيرة أنه لن يعود باكرًا، لكثرة عمله اليوم، حتى أنه لم يخبرها بنوع العمل، خرج دون أن يقبلها قبلة واحدة، ونيرة حاولت تجنبه ولكن تأثير سحر الهدايا على

الزوجات فعال، أخرج من سترته علبة مخملية وجعل ابنته تقدمها لها، هللت فرحًا عندما أخبرها أبوها أنّ لها أيضًا لعبة هدية، ستأخذها بعد أن تقدم هدية وصال.

ـ تفضلي، كل عام وأنتِ طيبة يا ماما.

أخذتها وصال وقبلتها: وأنتِ طيبة يا قلب ماما وصال!

جرت الطفلة بعد أن أخذت هديتها نحو أخيها، وبقي الحبيبان مقابلين لبعضهما، تقدم نحوها ورفع الورد نحوها: أعلم بأن أكثر شيء يسعدكِ هي الزهور، خاصة مني.

ـ من قال لك؟

أشار إلى قلبها حتى وصلت يداه: ليس على لسانكِ قولها، لكن قلبكِ أخبرني منذ زمن، وأخبرني أكثر وأكثر، أنا آسف.

قبل جبهتها واحتضنها، نظرت إليه بابتسامة دموع؛ فأكمل: كنت أعلم بأنكِ تريدين مجيئي مبكرًا لكي نقوم بحفلة حتى لا تشعر أسيل بغياب أمها، أقدر كل ما تفعلينه لكنه رغمًا عني!

ـ تحقيق جديد ولا تريدني معك؟!

ـ لا أستطيع الاستغناء عنكِ أبدًا، لكنّني أخاف عليكِ، لن أقول الأولاد لكن أنا، كيف أستطيع العيش دونكِ؟ أنتِ ابنة القلب ووصاله.

وصال بحب: لن أتحدث مجددًا بأمر العمل اليوم، هيا لنقطع الكعكة، أسيل تريد تذوقها.

ـ نحتفل أولًا، ثم نأكل.

حضرت أسيل بشغب: نعم نقطع الكعكة أولًا ثم نحتفل.

ـ لا يا قلب بابا، أنا أريد الاحتفال مع ماما أولًا.

سريعًا وضعت وصال يدها قبل أن يكمل عمر حديثه، رفع يدها مبتسمًا: حسنًا يا حنفي تنزل هذه المرة.

انتهى الغداء بمرح وحب متبادل، مع احتفاظ وصال ببعض من مشاعرها غير المعلنة، ولكن فهمها عمر جيدًا وحاول التعايش معها.

ـ ما أجمل أن تكوني نصفي الآخر، فأنا دونك فاقد للوصال اسمًا ومعنى.

ـ هيا أسرعوا لكي نذهب لأمي وأمكِ نقدم لهما الهدايا، وسنقابل سيف وجاسر بالليل إن شاء الله.

ـ هل أحضرت هدايا؟

ـ بالطبع يا حبيبتي.

وصال: أدامك الله لنا يا قلب وصال.

....

في شقة سيف

استيقظت هند وجدت سيف مازال يغط في سُباتٍ عميق، تحركت بهدوء من جواره وأخذت الهاتف بيدها لترى الساعة، شاهدت تاريخ اليوم، هبطت دموعها، اليوم عيد الأم، تذكرت والدتها توفيت العام الماضي ولن تقدم لها هدية، رغم قسوة والدتها إلا أنها تحبها وحزنت لوفاتها كثيرًا، وضعت يديها

فوق بطنها وتحدثت بصوت ناعم: أنا أشعر بكونكِ فتاة، ستكونين أختي وصاحبتي وابنتي، لن أفعل معكِ مثلما فعلوا معي، لكنني أحبهم، وسأكون أجمل أم.

وجدت ظهرها ملاصقًا لصدر سيف محتضنًا إياها ومقبلًا رأسها: ستكونين أجمل وأحن أم إن شاء الله يا ماما.

ـ ماما!

ـ نعم ماما، ألستُ ابنكِ وأنتِ ابنتي وحبيبتي أيضًا؟ ولأجل خاطر ابنتي وحبيبتي سنذهب للمقابر نزور والدتها، كما أنني حضرت لكِ مفاجأة ستعجبكِ، لكن أولًا كل أم اليوم لها هدية، وأنا أحضرت لماما شيئًا تحبه وكانت تتمناه كثيرًا.

ـ أنت لم تجعلني أتمنى أي شيء يا سيف، كل الحنان والحب وجدته معك حبيبي.

ـ تفضلي، هذه أدوات وكراسات الرسم التي كنتِ تريدينها، ولكن سأكون أول شخص ترسمينه.

ـ لقد رسمتك كثيرًا لكنك لم ترَ تلك الرسومات أبدًا.

ـ فعلًا؟

ـ فعلًا يا قلب هند، لكن هذه المرة ليس لأنك طلبت ستراها، ولكن كانت أمنية عندي أن تهديني بشيء أحبه.

أحبك يا هند منذ أول يوم رأيتُ خدود الورد تلك، حفظكِ الله لي، وبارك لنا بهذه الفتاة.

....

في شقة جاسر

في غرفة الألعاب الرياضية، بدأت نيرة اللعب لتفريغ طاقتها المكبوتة وإخراج غضبها على الأجهزة الرياضية إلى جانب الحديث لنفسها.

ـ كيف يفعل هذا؟ سأجن منه؟ يحبسني بالمنزل، وأيضًا لن أذهب للعمل؟ لماذا؟ ما الذي فعلته؟ أكل هذا لأنني قمت بعمل تحقيق مع تاجر مخدرات أو لص؟ أليس هذا عملًا مثل أي عمل؟ والله يا جاسر لأريك من هي نيرة، فقط لتعود للمنزل، الصبر يا ابن زينات..

هل أمه تسمى زينات؟ نعم!

وبدأت بلوم نفسها: أنتِ في ماذا أو ماذا؟!

زادت من سرعة جهاز المشي الكهربائي ولم تدرِ ماذا يحدث؛ فغلها الداخلي كان أكثر منها حتى وقعت أرضًا من على الجهاز وأبعدها سير الجهاز إلى الأرض؛ فصاحت عاليًا: منك لله يا ابن... آآآآهَ

صوت من أعلى رد قائلًا: اسمها زينات صحيح.

نظر إليها من أسفل قدمه بابتسامة صفراء وفرحة انتصاره، ولكنه لا يدري كيف يكون كيد النساء.

فمال وحملها إلى غرفتهم، تخلت عن كبريائها قليلًا وسمحت لنفسها بالألم أمامه، وما يشغل بالها كيف تنتقم منه، ولكن سرعان ما أسكت نيران عقلها قائلا: اليوم عيد الأم وأنا أريد الاحتفال به معكِ وأنتِ مصرة على الخروج، أريد الذهاب لوالدتكِ، ليس معنى أن أمي متوفية بأن أكون محرومًا من هذا الشعور، أنا أحب أمكِ كثيرًا.

وأغمض عينيه بتأثر: كنت أتمنى أن تشعري بهذا دون حديث!

وضع أمامها هديتين: واحدة لكِ، كنت أتمنى أن أشعر بأنكِ زوجة وأم وحبيبة، لكنكِ دائمًا تقفين أمامي، لا أريد حرمانكِ من أحلامكِ لكن فقط رجاءً اجعليني جزءًا منها، العلبة الأخرى لأمكِ إذا أردتِ أن نذهب إليها!

خرج من الغرفة وتركها تنعى الدموع ونفسها، لازالت لديها فرصة تراجع ما فاتها قبل فوات الأوان، ارتدت أفضل ما لديها وخرجت بوجهٍ مبتسم.

ـ أنا آسفة، صدقني سأحاول أن أتغير وأكون أفضل من قبل.

رق قلبه لكلمة بسيطة منها؛ فابتسم محتضنًا إياها بحبٍ، وخرجا معًا يده تحضن يديها كعاشقين في بداية حياتهما.

التقى الأصدقاء الثلاثة وزوجاتهم في أحد المطاعم العامة، وقضوا أفضل أوقاتهم برفقة بعضهم البعض واحتفل الجميع بدوام صداقتهم إلى الأبد، ما زال عهد الصديق الوفي موجودًا لا ينتهي.

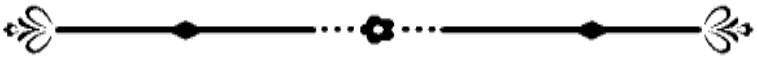

خارج الرواية

يا ريت واحنا بنحتفل بعيد الأم نفتكر إن اللي أمه متوفية محروم من لحظة زي دي، محروم من كل حاجة في الدنيا، دعوة حلوة، صدر يضمه في أصعب أوقاته.

مش لازم مظاهر الاحتفال قدامهم.

م/وفاء فتحي الغرباوي

محتويات الرواية

إهداء.....5
الفصل الأول الخذلان.....7
الفصل الثاني وصال.....16
الفصل الثالث صدام.....27
الفصل الرابع غربة روح.....39
الفصل الخامس انتظار.....51
الفصل السادس الحياء من شعب الإيمان.....59
الفصل السابع لقاء الارتواء.....71
الفصل الثامن قرب.....80
الفصل التاسع أحداث هامة.....93
الفصل العاشر الحقيقة.....107
الخاتمة.....119
محتويات الرواية.....127

للتواصل مع الدار

التعاقدات

المعارض

الصفحة الرسمية

مسابقات

طلب إصدارات

الإعداد

التوزيع